الطريق الثقافي

يصدره القسم الثقافي في جريدة طريق الشعب

الثلاثاء 3 كانون الثاني/ يناير 2012 3 January 2012 - No. 49

12 تشكيل

أحمد نصيف
الجدار مشهداً للرؤية

أمكنة
الهند
2
بلاد العجائب الملونة
بدل رفو

تأويل
3
في فلسفة الصياني والتدميري.. خرج الصياد
ياسين النصير

قصة
4
لويس خورخه بورخس
وردة باراسياسوس
ترجمة: نصير فليح

مسرح
5
السندباد الشعري
ناظم السعود

شعّر
6
ذهبت إلى الحرب
قوباد حليزادة
دعه ينتظر المطر
عبد الرزاق صالح

قصيدة
7
سمفونية الأزرق
سلمان الجبوري
تكويرة الوردة
هاتف الجنابي

تجارب
8
متحف الإغتراب للتشكيل العراقي
محسن الذهبي

قراءة
9
شخصنة الحياة.. نصاً
مقداد مسعود

حوار
10
عبد الكريم كاصد
الشعر بلا نثر لن يكون شعراً

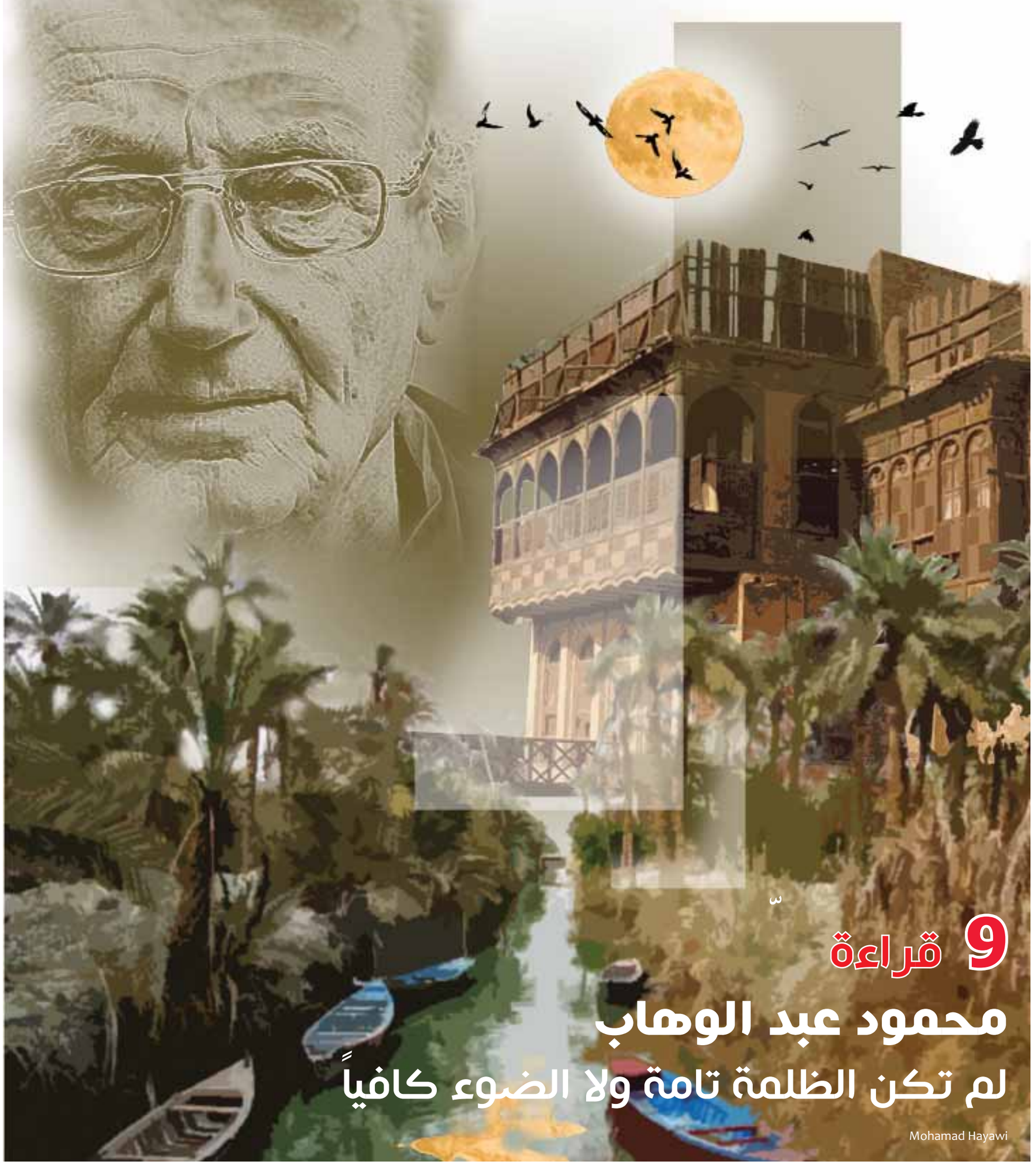

9 قراءة

محمود عبد الوهاب
لم تكن الظلمة تامة ولا الضوء كافياً

Mohamad Hayawi

ثقافة الطريق

كلاويز أكبر من مهرجان

كنت في السليمانية مع مجموعة متميزة من مثقفي العراقي شعراء ونقادا وفنانين وقصاصين ومسرحيين،فالمهرجان لهذا العام أتخذ صيغة مباشرة مع الثقافة الوطنية حيث كان التركيز عليها واضحا،فالثقافة الكردية والمشرفون عليها وجدوا أن الطريق لتأسيس خطاب ثقافي وطني يمر عبر التداخل بين الثقافات العراقية لتشكيل الثقافة الوطنية كما وجد المهرجان في الثقافتين الإيرانية والتركية رديفا يغني التجربة المحلية لاسيما وأن قطاعات من الشعب الكردي تتكلم اللغتين الفارسية والتركية،اضافة إلى تغذية التجربة الثقافية بثقافات أخرى حيث حضر الألمان والبولونيون وغيرهم.

على الصعيد المحلي للمهرجان كانت الرسالة واضحة هي تأليف خطاب ثقافي حضاري يكون رديفا للخطاب السياسي،إن لم يكن الخطاب الثقافي أبلغ رسالة من الخطاب السياسي الذي نشعر نحن المتعاطفون مع القضية الكردية أنه الرسالة الحضارية التي يتسع تأثيرها كلما نقلت للعالم خصائص وسمات وتنوع الثقافة العراقية.وقد أشاد رئيس المهرجان الأستاذ ملا بختيار بأهمية حضور الثقافة العراقية لإنجاح المهرجان وأشار كذلك لأهمية الثقافة الإيرانية مما يعني أن التجربة الوليد في تأسيس ثقافة الإقليم لأول مرة في الشرق الأوسط وبطريقة واضحة في العراق تعني أن هذا الإقليم يقدم صورة حية ومباشرة عن التقدم الذي يعيشه العراق من ناحية تفهم جيد للتعددية والديمقراطية،فالمنطقة العربية لم تشهد مثل هذه الصورة المتقدمة للأقاليم كالتي عليها الإقليم الكردي في كردستان العراق وهي صورة مشرقة ولاشك بدليل هذا البناء العمراني والمؤسساتي والاتساع المبهر في تلبية احتياجات المواطنين والتحول الدراماتيكي الجيد من الأعمال اليدوية إلى الأعمال الصناعية الكبيرة بحيث تجد أن هيمنة القطاع العام وقوة القطاع الخاص يسيران بطريقة متضافرة لتأليف صورة واضحة عن مفهوم الإقليم في منطقة الشرق الأوسط.المهرجان وبدون أن يخصص فعالية لمثل هذا الطرح الحضاري الذي يتجاوز الإقليم إلى المنطقة ومن ثم إلى العالم، إلا أنه قدم عبر التلاقح الثقافي وتنوع مصادر المعرفة صورة واضحة عن هذه الرسالة الحضارية التي نأمل أن يصار لها برنامج عمل في الدورة القادمة وتؤكد على أنها إنتاج عراقي وبفكر عراقي وعلى أرض عراقية..

لا يمكن الحديث عن المهرجان دون الحديث عن الجمهور، وعبر كلمتين للأستاذ ملا بختيار عرض الكثير من النقاط التي تلتقي الثقافة فيها بالسياسة،وكأن الكلمتين رسالتين أختص بهما المهرجان عبر فعالياته التي اقتصرت هذا العام على خمسة أيام عرض بختيار الوضع السيوثقافي بتفاصيل دقيقة وبين أهمية أن يكون المواطن الكردي في مستوى المسؤولية للنهوض بالخطابين السياسي والثقافي في هذه المرحلة.

ومن يستقرئ المنشورات الكردية والعربية وما قدمه المهرجان من تسهيلات كبيرة لمعرض الكتاب الذي رافق المهرجان، وقد رافق صدور العدد الجديد من كلاويز الذي حمل ست مقالات عن تجربة الناقد العراقي ياسين النصير الذي خصص المهرجان جلسة نقدية لعدد من النقاد العراقيين للحديث عن تجربته.

لقد وجدنا نحن الأدباء العرب ضالتنا في معرض الكتاب الكثير من الكتب التي لم تصل مدننا العراقية.

حسنا مهرجان بفعاليات منوعة وجمهور متابع لثلاث جلسات يومية، وصحافة تتابع أحداث المهرجان وفضائيات تضيق عليك حتى فرصة شرب الشاي، كيف لا يكون لهذه الظاهرة بعد تراكمها سنوات قادمة الحضور الفاعل في تنمية أذواق وقدرات ومهارات تنظيمية وإدارية وثقافية وإبداعية. من هنا نقول إن مهرجان كلاويز كان أكبر من مهرجان للثقافة بمفهومها القديم..

ياسين النصّير

في الرواية .. «أوراق جبلية» .. شهادة عن العقود الدامية ـــــ جاسم العايف 11

مشاهدات كردستاني رحال في بلاد الورود والألوان.. بلاد الهند

تحف معمارية وعجائب ملوّنة

الجزء الأول

بدل رفو

الهند ـ أقليم راجستان

السياحة في الهند قنبلة إذ أن عدد السياح في الأعوام الأخيرة قد فاق بصورة ملحوظة سياح دول جنوب شرق آسيا بعد أن كانت تحتل المقدمة لأعوام طويلة مثل تايلاند والفلبين وميناامار. هكذا قررت التوجه نحو الهند وأكثر هذه الأماكن والمقاطعات التي تكون قبلة السياح هو إقليم راجستان لمشاهدة القصور والمدن الأثرية المخلدة للفترة التي حكم فيها الإسلام والطابع الكلاسيكي للتصميم الإسلامي لفن العمارة. وقتها أفاد الإسلام من خبرات وطاقات المسلمين في العالم وخاصة من بلاد فارس وأفغانستان .أما بالنسبة للأديان في الهند فالمسلمون يحتفظون بالديانة الثانية بنسبة 11 بالمائة والمسيحيون بنسبة 2،4 وغالبيتهم يعيشون في الجنوب. وهناك أكثر من 330 ألف إله للهندوس وآلهتهم هي رموز لهم ، ومن آلهتهم وتماثليهم كريشنا وهو يعزف الناي وشيفا هي آلهة التطيب وكالي ووو. المذهل ..حقيقة ملموسة ومرئية لدينا.

الهند بلاد التحف والكنوز الفنية وكل هذه التحف الإنسانية يمكن مشاهدتها في قصور القياصرة والملوك. وهناك قانون في الهند من يضع يده على تحفة فنية عمرها أكثر من مائة عام يتوجب عليه الحصول على رخصة من الدولة.كذلك يعد فن النحت والطرق على الخشب من الفنون الرائعة وخاصة التماثيل الصغيرة التي تبرز حضارة الهند وتباع للسياح بأسعار زهيدة وأجود أنواع الخشب المستخدم للنحت هو من كشمير وأما بالنسبة للملابس فليس هناك بلاد في العالم تميزت ملابسها بالألوان الزاهية بقدر الهند. وأقمشة الهند مشهورة وخاصة الساري في كشمير، وتتنوع صناعة القطن فيها ومشهورة بصناعة الشال و الساري .أما بالنسبة لوجبات الأكل فقد غزتنا البهارات الهندية وخاصة الكاري.

الرحيل والسفر إلى الهند كان الحلم الذي راودني منذ الطفولة ،منذ أيام السبعينيات حين كنا نطرق أبواب صالات السينما في مدينة الموصل وخاصة سينما السندباد التي تقابل حديقة الشهداء.أسباب كثيرة دعتني لهذه الرحلة الشاقة. وبالرغم من أنها رحلة جوية لكنها استغرقت ساعات طويلة: السفر من النمسا لعمان ومنها لدلهي. ومن هذه الأسباب : طيبة الشعب الهندي ،الأفلام السينمائية القديمة مثل سنكام وسوراج وانداز واليتيم والأم وماسح الأحذية وبالرغم من أني لم أر ماسح أحذية هناك عكس مدينة دهوك التي يعج مركزها بصف طويل من صباغي الأحذية والتي يعدها الأوربيون إهانة لكرامة الإنسان وحقوقه فكل إنسان يصبغ حذاءه بنفسه.وكذلك من الأسباب طبيعة الهند الساحرة وريفها الجميل وبساطة ناسها وكذلك اهتمامي الكبير بلغتهم التي كنت أجيدها أيام الطفولة .

قارة كاملة تجمع ثقافات ومعارف وفنون أديان ثلاثة

الهند...بلاد الشعر والفن والرسم والحضارات ومهرجان الألوان وعيد الراكي والآلهة.

إنها الساعة الثامنة والنصف صباحا والانطلاقة من مدينة غراتس النمساوية والتي تستغرق ساعتين بالسيارة للوصول إلى مطار فيننا الدولي برفقة موسيقى هادئة واحلم ولا ادري أين ستقودني الأحلام ،احلم بكردستان ووالدتي التي ترافقني بدعائها وتقول لي: ما لك والسفر يا ولدي. وهذه المرة خشيت أن لا أعود من رحلتي من بلاد الحلم الطفولي وتألمت جدا حين راودتني هذه الأفكار. لكن يبقى الحلم برؤية حضارة لها ثقلها الكبير في التاريخ الإنساني.وأنا أودع مؤقتا النمسا التي أحبها وأحب ناسها وتاريخها ومتاحفها وطبيعتها بجبالها وأنهارها لأكثر من عقدين ...في مطار فيننا طالعتني السوق الحرة والمقاهي والشوكولاه وعلى أغلفتها صورة قيصرة النمسا إليزابيث وشوارب قيصر النمسا بشواربه المفتولة وكذلك صور المتاحف والفنانين النمساويين ليوصلوا حضارتهم للسياح بهذه الصورة.

انطلقت بنا الطائرة الثانية بعد الظهر من مطار فيننا الدولي متجهة صوب عمان في الأردن وبالخطوط الجوية الأردنية. وصلنا مطار الملكة علياء ولم يستغرق الترانزيت سوى ساعة واحدة.وبعدها انطلقت رحلة الحلم الجميل. وأنا احلق فوق الغيوم تذكرت تحيات وسلام صديقي الصحفي عبد الوهاب الطالباني بأن أنقل مشاهدات جميلة وكتب لي هذه الجملة (الهند مرة واحدة !!) وكذلك تحيات الفنان الكوردي المبدع عصام حجي طاهر وان اجلب له فيلا من الهند وهو يستحق كل خير لما يقدمه في سبيل وطنه كردستان وشعبه ..أشياء كثيرة بدأت تراودني ،فلكل مشاهد وسائح وكاتب رحلات مشاهداته الخاصة وأسلوبه الخاص في نقل الصورة وطريقة كتابة الموضوع والوصف ولكل مصور له عدسته وزاويته ولحظات اقتناص الفريسة الصورة ولكل إنسان طريقته الخاصة في الحياة..في الطائرة بدأت الأفكار تزدحم في بالي وفكري ورحلة لأعوام كثيرة من سفر الحياة ..يا ترى هل سيكون حلم الطفولة كما حلمت؟أم سأصطدم بواقع مرير؟إنها رحلة إلى بلاد العشق والجمال والأغاني والحضارات ولأنقل لشعبي وللقراء ما اقدر عليه وتستمر ا لرحلة.

القسم الثاني
الطريق إلى أغرا.. موطن القصور وتاج محل وقلاع التاريخ

الهند وطن الأوطان وبلد البلدان وأجمل بلاد الله، هكذا قال الشاعر (محمد إقبال)... فملايين الحجاج الهندوس يتجهون صوب نهر الغانج من كل أنحاء العالم وأرجاء الهند للبحث عن النقاء والصفاء والفلسفة. بالإضافة إلى المعابد والهياكل الهندوسية الجميلة والى قلاع وجوامع المسلمين وما خلفته الفتوحات الإسلامية في الهند التي تعد بدورها الإرث الإنساني الخالد. وتعد أيضا بلاد الرقصات الجميلة ومهرجان الألوان... وهم في أقصى درجات الفقر يبحثون عن لحظة حب، بالإضافة إلى أنها بلاد التفكير والتأمل والسحر وبلاد الأضرحة والتماثيل والقصور للأجيال الماضية.

الهند.. ليست بلداً واحداً بل قارة شاملة. يتألف الهندوس من ثلاثة أعراق: البشرة السوداء والبشرة السمراء والبشرة البيضاء. تعتبر قارة من الفقر غير المحدود وتقابلها طبقة برجوازية ،طبقة من المهراجا وطبقة من المتسولين ،طبقة تسكن أكواخا سفرية وبعضهم يرقد على الأرصفة والبعض يملك عمارات شاهقة .قارة تجمع ثقافات 3 أديان وهي الهندوسية والإسلام والبوذية.قارة من التحف الإنسانية الخالدة ورحلة إلى الهند تعني رحلة إلى بلاد الاحتمالات المفتوحة ...بلاد العادات والتقاليد والساري الهندي التي تمنح المرأة أنوثة كبيرة. الهند يوما بعد يوم منبع المفاجآت. ولكن الحياة في كثير من الولايات والمدن والأرياف هي كما كانت في القرون الماضية وهذا ما لاحظته في مدن الش مال.

حطت طائرتنا الساعة الخامسة صباحا حسب توقيت الهند على ارض مطار انديرا غاندي ،البلاد التي أحببتها وأمضيت فترات من طفولتي لتعلم لغتها .فالهند مزيج من الحضارات والأغاني والتراث والجمال واللغات واللهجات الجميلة...الساعة الخامسة حيث الشفق وخيوط يوم جديد تشع. دخلنا المطار الكبير والاستقبال الجميل للسياح والأجانب من قبل شرطة المطار وتبدأ بكلمة (نمستى . مرحبا) وجدارية كبيرة من النحت بالقرب من فحص الجوازات تمثل حركة الأصابع واليدين وزهرة في راحات اليد وهي تبين التأمل والتفكير في الوردة والعالم من نظرة فلسفية بحتة.

انه مطار دلهي وفي قسم الاستقبال كان عددنا 25 سائحا نمساوياً. وهذه هي المرة الأولى في حياتي أسافر مع فريق سياحي. فللسفرة السياحية ايجابياتها وسلبياتها وايجابياتها مثل حجز الفندق ووجبات الأكل والسفر بالباص والبرنامج المكثف للفريق، ولكني في كثير من الأحيان كنت أسافر وحدي للتمتع بالهند طوال النهار ، كان بانتظار مجموعتنا المرشد السياحي لاكشمان /ويعني احد آلهة الهندوس. استقلينا الباص ووضع سائق الحافلة إكليل ورد في رقبة كل سائح ، وهذا جزء من عادات وتقاليد الهند.

الساعة السادسة صباحا والانطلاقة من مطار انديرا غاندي في دلهي بالحافلة صوب مدينة أغرا في إقليم راجستان ،في شمال الهند ،ويعد موطناً للمسلمين. وأنا بجوار الشباك كنت أنظر وكأنني من كوكب آخر بعيد عن النمسا وكردستان.عجلات هوائية بثلاثة إطارات تستخدم تاكسياً. وبالرغم من انه موسم صيف إلا أن المياه غطت جوانب الطريق. كنا في الطريق السريع دلهي ـ أغرا ولكن سرعة الحافلة لم تتجاوز 60 كيلومترا في الساعة نظرا للزحام الشديد وكثرة الأبقار المقدسة وحركة السير المشلولة .وما أن تقع أعين الهنود علينا حتى يبادروننا بالتحية الرائعة .الهنود يعشقون الأجانب بصورة كبيرة. وشاهدت سيارات(التوك توك)وهي على شكل محرك مغلف بثلاثة إطارات صغيرة وهي تحمل لغاية 10 أشخاص عكس تاكسيات كردستان ...ما إن يكون الراكب بدينا حتى يبادرك السائق بان هواء إطارات سيارته لا تتحمل الجميع ويا خسارة. طريق طويل يربط مطار دلهي عن أغرا والمسافة تقدر ب 220 كلم وكأنه أشبه بالطريق الصعب. وما أن تغادر الحافلة لاستراحة قصيرة في مقهى أو مطعم حتى يلتم حولك الباعة المتجولون وهدايا تذكارية من الهند على شكل قلائد وفانيلات مرسوم عليها تاج محل أو صورة فيل واسم الهند وتماثيل صغيرة. ومن الصعب أن يدعوك في حال سبيلك حتى تشتري منهم شيئاً ولكن تظل ضحكتهم وحبهم للنكتة. وكذلك ثمة من يأتيك بسلة فيها أفعى كوبرا وهو يعزف الناي لا ليعزف مواويل الشتاء بل يعزف للكوبرا للرقص. وأطفال يركضون بملابسهم النظيفة صوب المدرسة.. وتعجبت أليست عطلة المدارس في العالم!!ويبدأ يوم جديد من تاريخ الطفولة في بلاد تسمى بلاد العشق والحب والفن وبلاد المهراجا..بلاد هندستان وتستمر الرحلة.

القسم الثالث
سيكاندرا ..مرقد ضريح القائد «أكبر الجد» وتاريخ من النضال

سلكنا الطريق السريع حيث تقع عدة نقاط لدفع ثمن المرور والإنسان لا يناله الإرهاق والملل من الطريق لكثرة الحياة والروح على طرفي الطريق وقرية تلتصق بقرية والأراضي الزراعية خضراء وحافلات تاتا تملأ الشوارع. وتذكرت حين جلبها دكتاتور العراق السابق من الكويت حين غزاها عام 1990،إذن حتى باصات الهنود تاتا لم تسلم من ظلم الدكتاتور. وقبل وصولنا ب 10 كيلومترات لمدينة أغرا حيث المحطة الأولى واليوم الأول لمشاهدة تحفة ورائعة من تحف الإنسانية الخالدة ،وتقع في شمال اغرا بالقرب من شارع يؤدي إلى (ماتورا) حيث تقع (سيكاندرا).

وتصورت في البداية بأنها مدينة الاسكندر الكبير لأنه في كل بلاد يشيد مدينة باسمه ولكنه في الهند خسر آخر معاركه بعد أن تلقى ضربة موجعة من الشعب الهندي وأفيالهم ومنعت تقدمه وعاد إلى بابل عاصمته المحببة كي يودع الحياة بعدها.

لكن سيكاندرا هذه تعود للمقاتل اسكندر لودي 1527.1489 وقد وصلها كعاصمة جديدة له واليوم تقف اسوار طويلة لها والآلاف من السياح يزورونها لمشاهدة ضريح القائد اكبر الجد (جد شاه جيهان اكبر مشيد تاج محل) في وسط حديقة جميلة تحيطها الورود من كل جانب. يمكن الدخول إلى هذه التحفة المعمارية والبناء الرائع من الباب الجنوبي.

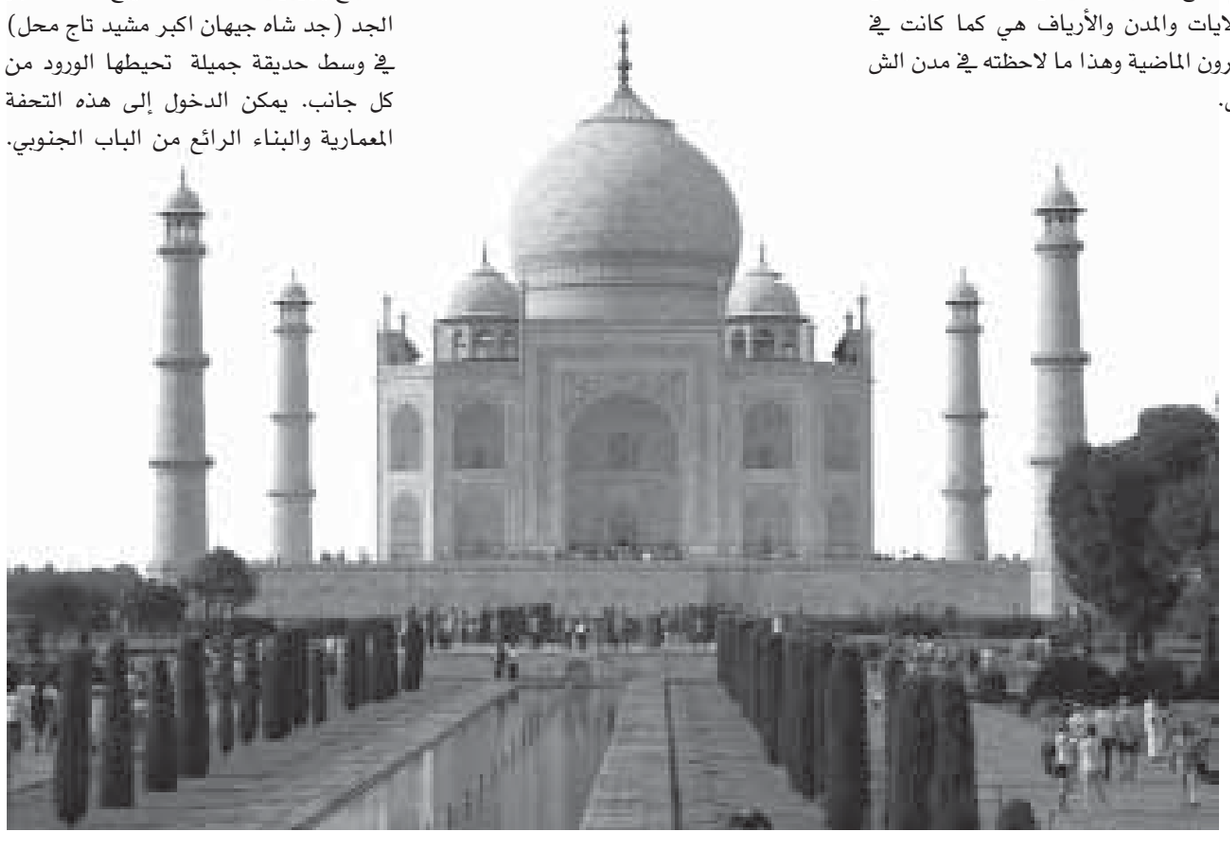

وقد شيد البناء من الرمل الأحمر والمرمر. وقد شيد مرقداً أكبر بفن رائع وهناك منارة إسلامية في القصر.في الطابق العلوي من البناء المعماري أسماء الله الحسنى. ولكن ليس بوسع الزائر مشاهدتها كما كتبت نظرا للإهمال الذي أصاب القصر. وهذا ما لاحظته في أركان القصور التاريخية .المسلمون والهندوس يحترمون بشدة اسم القائد الكبير عائلة اكبر لأنهم قاموا بحركة عمرانية في شمال الهند. وقد شيدوا العديد من الجوامع والقلاع والتحف الخالدة مثل تاج محل والقلعة الحمراء. وضريح القائد اكبر في الحديقة ومن أروع المقامات لما لهذا الرجل من مكانة كبيرة في قلوب الشعب الهندي .والقصر ،حيث يوجد الجامع على نهج الكثيرين من المسلمين القدماء ،يضم حجرات كثيرة وفناء كبيرا ذا نقوش وزخرفات. وما أعجبني بالقرب من القصر أطفال الهند السمر وهم يغنون لك من دون أن يطلبوا منك روبية. ورجل هندوسي وتجاعيد وجهه وعينيه تحكي حكاية هندوسية من زمن منصرم. وربما كان احد أبطال هذه الحكايات وأدار الزمن ظهره له و يسرد لك قصة ماضيه وحبه للقائد اكبر. وودعني وهو يلف شاربيه المفتولين وهذا ما تبقى له من الحياة. وحين يكون الهندوس أحيانا في خلاف مع المسلمين وقتها الجميع يتذكر عائلة اكبر ويحل الخلاف لأن عائلة اكبر كانت متسامحة ومتعاطفة وتحب الهند .

في كل الأماكن والمطاعم والمنتزهات الكبيرة وعلى البوابات تمثالان لفيلين كبيرين وهذا يعني عند الهندوس مرحباً بكم .وحين تسد الأبقار الطرق والشوارع لا احد يتحرك له جفن ولا ينبس احد ببنت شفة أو يغضب نظراً لقدسية الأبقار. هذه القدسية من أين أتت ؟؟لا مجيب. وحين سألت بعض الهندوس أجابوني بأنهم لا يعلمون ولكننا نقدسها،وحتى أني أنقذت بأعجوبة في شوارع أغرا من نطحة بقرة ولم ارها وكادت أن تنهيني لان كل الطرق لها مفتوحة.

وصلنا مدينة أغرا التي يبلغ تعدادها 1،5 مليون نسمة وكانت عاصمة للمسلمين. وتعد اكبر مدن الشمال الهندي ضوضاء لكثرة السياح فيها وعدم صفاء والهواء النقي فيها والزحام الشديد في شوارعها ومحطة القطارات. وفي هذه المدينة يقع اكبر تحفة معمارية في الزمن الحديث وهي تاج محل والتي سيتم ذكرها لاحقاً. ولعدة قرون جعل المسلمون هذه المدينة عاصمة لهم وتبعد عن أغرا ب2 كيلو متر وعن ضريح اكبر الجد 10 كيلومترات. وعلى الجانب الآخر من نهر جمنا يقع ضريح وزير المالية في زمن الفتوحات الإسلامية اعتماد الدولة. وفي قصره أيضا تنتشر الحدائق الرائعة والأبنية الضخمة وفن العمارة. وعلى بعد 40 كيلومترا توجد قلعة فاتح بور التي تسمى الآن بمدينة الأشباح. وقد شيدها القائد اكبر الجد في الصخر الأحمر في القرن السادس عشر . فن العمارة الإسلامي يتجلى على عماراتهم وقصورهم التاريخية. وتبعد أغرا عن دلهي العاصمة 220 كيلومترا .جولة في شوارع وأزقة أغرا تسافر بك بعيدا فلا مدينة هندية تشبه الأخرى ولكل مدينة حكايتها وتاريخها. وأنا أجول شوارع أغرا ربما اعثر على ما لم اعثر عليه في العالم ومدن التاريخ ولكني انتظر اليوم القادم لأحمل كاميرتي وأوراقي لأزور تاج محل رمز العشق وربما ستكون ما أبغيه وربما لا!! وبكل الأحوال تستمر الرحلة.

في فلسفة الصياني والتدميري

خرج الصّياد

ياسين النصيِّر

لم أكن أعرف يوم ولدت أن الحياة ستكون معي بمثل هذا التعقيد، ولم يخبرني والدي بعد أن بلغت من العمر سنوات وأنا الوحيد له أي شيء مما سيحدث لي،لكن عرّافة غجرية قالت يوما بعد أن استدعتها أمي،ودفعت لها "حلانة" تمر خضراوي هي جزء من مؤونة الشتاء، سيكون ابنك وحيداً دائماً، ستحدث له "طلايب" مع الحكومة، يسافر كثيرا، ليس غنيا، ويرزق بسعة أبناء. عندما أخبرت أمي أبي بذلك فرح أول الأمر،لكنه حزن عندما عرف أن "حلانة تمرخضراوي" قد نقصت من مؤونة شتائنا الدائم ،وحزن أكثرعندما سمع أن مشكلات ستكون لأبنه الوحيد مع الحكومة.

وأنا في متوسطة القرنة سمعت بوفاة ستالين كان الحديث يدور في مضيفنا القروي لا أعرف من يكون ستالين ولماذا يكون موته بمثل هذا الاهتمام بين الناس بحيث يصبح حديث مجالس الفلاحين ، ولكن خبر وفاته شدني كثيرا..بعد سنوات عرفت أنه زعيم الحزب الشيوعي السوفيتي..

تطوي الأيام القرية، أو تطوي القرية الأيام، إذ ليس من شعور حقيقي بالزمن فيها، كما ليس من شعور بالمكان أيضا، هذه اليومية المعتادة تولد سأما دائماً.لم أمض طويلا حتى وضع والدي رحمه الله الكتاب بين يدي، فقد شاهد تعلقي به وهو يذهب في كل ليلة رمضانية لسماع القاص الشعبي المرحوم عبيد اليوسف ليحكي تمثيلا أحدى قصص ألف ليلة وليلة، كنت وأنا المتعلق بعباءة أبي من مستمعي هذه القصص والشغوفين بها، فتحسس رغبتي لألف ليلية وليلة، ليجلب لي بعض قصصها من البصرة..

فكانت أولى باكورة المكتبة الصغيرة في بيتنا الطيني القصبي، مصحوبة بصور الممثلات المصريات التي علقتها على جدار كوخنا القصبي /الطيني، لا أعرف كيف وصلت تلك الصور، ولكن والدي رحمه الله كان يحب الكتب والمجلات ويتصفحها دون أن يعرف القراءة والكتابة، فكنت استمع للحكايات في الليل وأقرأها في النهار، وصادف أيضا أن يكون الشاعر القروي وهو من قرية الشاهين، صديقا لأبي، وكان يُسمعنا بين فترة وأخرى أشعاراً شعبية وأمثالا وحكايات، كان هذا الشاعر مثالا لي في تتبع الأمثال الشعبية في القرية، وبعد أربعين سنة من هذه الجذور استخرجت في مغامرة نقدية الأمثال من ألف ليلية وليلة، نشرت على حلقتين في مجلة التراث الشعبي، فكانت حافزا لآخرين للبحث عن الأمثال في ألف ليلة وليلة..

> تشكل المكانية بعداً جديداً في بنية النص أي كان نوعه

ومنذ الصف السادس الابتدائي وأنا اقرأ قصص ألف ليلة وليلة، وأجمع الأمثال الشعبية واحب الأغاني الريفية، بل وأطرب لها ففي قرية الحاج ناصر أكثر من مغن متميز، كما كان والدي يصطحبني معه عندما نكون في موسم جراديغ التمور في ابي الخصيب لحفل الغناء الليلي الذي تقيمه الشدات في بساتين السراجي ومهيجران والخورة وابو الفلوس والصنكر وغيرها وهم يعزفون ويرقصون، كانت هذه الشدات الليلية نافذة أخرى على أغاني البحر والبساتين، يذكرها السياب لاحقا كجو طقسي مثيولوجي.كنت أعشق الكتب حتى تلك التي كان يجلبها الصاحب الإنجليزي ورجال دين مسيحيون ايام الجراديغ لكبس التمور وتصديرها، ولكن سرعان ما كنا نمزقها أو نلقي بها في الماء فالدعاية أنها كتب مسيحية ونحن مسلمون فلا يجوز ان نقرأها، شكلت هذه الكتب وغيرها بداية لي في التعرف على أدباء مدينة القرنة، كان من بينهم الناقد خيري الضامن، صاحب أول كتاب نقدي في الحداثة"في التكوين الشعري"1962 والمفكر صبري هادي، والشيوعي يحى عباس، الذي كتب مبكرا جدا رواية"الثالوث" 1954 ، ثم لما كبرالأمر بي وكبرت بي السنون كنت من أوائل من انضم إلى الاتحاد العام لطلبة العراق لأجد نفسي بعد سنتين من أوائل المضربين في ثانوية القرنة هاتفا بسقوط حلف بغداد دون أن أعرف ما هو الحلف، ولماذا يخرج الطلبة بمظاهرات ضد الإنجليز والساسة العراقيين، وكانت نتيجة ذلك التحقيق معي في مركز شرطة القرنة الأمر الذي جلب علي غضب الأب والعشيرة..

كنت الوحيد لأبوي فدخلت الصف الأول وعمري خمس سنوات، كان ذلك بفضل مكانة والدي المادية الذي كان يعمل في شركة تمور انجليزية، "بيت جوك" وكان ميسورا والوحيد الذي يؤجر سيارة خاصة به كلما سافرإلى البصرة، هذه الحال علمتني ان أكون متميزا بين أقراني دون أن اتخلى عن دراستي فقد حفظت آياتا كثيرة من القرآن وكنت أردد مع القارئ الرمضاني سيد عبد الجليل بعض الأدعية، وفي الوقت نفسه كنت أول من ارتدى البيجاما المخططة في القرية، وأول من لبس الساعة اليدوية، بعد المختار وأبي، وانتعل الحذاء ..هذه الفرادة جعلت أبناء القرية معادين لي لا بل ويضربونني كلما سنحت لهم فرصة بذلك..شكلت عندي هذه الحال خوفا ملازما من الذين يتقربون لي دون معرفة بهم، ومنذ ذلك التاريخ وأنا قليل الأصدقاء.. كنت صياد سمك من الدرجة الأولى، حتى أن عوائل عديدة كانت تعتمد على ما أصيده، ففي خرجي الصغير تتحرك سمكة دائما، هذا الطفل المرزوق كان محط أنظار فتيات القرية أيضا، فقد كنت متميزا في مظهري بين أبناء القرية الفقيرة لأمكانية والدي المالية.

في عام 1954 أو 1955 شاهدت أول مسرحية تعرض في ثانوية القرنة للبنين، ومن تمثيل خيري الضامن وعبد العالي الصكبان وصبري هادي وآخرين، كانت المسرحية، مسرحية فاوست لغوته، تعجبت للعرض وللحوار ولظهور الشيطان حقيقة بعد أن كنا نعتقد أنه مَلَكٌ يتخفى في ثيابنا، ومنذ ذلك التاريخ وأنا متعلق بالمسرح الذي شكل أول نشاط نقدي لي، حيث كان الحوار طريقة للتفاهم بين الناس، موضوع الخير والشر هو الذي شدني لأن أكون عضوا في الحزب الشيوعي العراقي، كان ذلك في عام 1958 وأنا تلميذ في دار المعلمين الابتدائية في البصرة، لأدخل مرحلة تنبؤات العرافة بعد سنتين من هذا التاريخ حيث كان أول اعتقال لي في عام 1961 ثم اعتقلت في الشهرالرابع من عام 1962 ثم في عام 1963 بعد انقلاب شباط الأسود حين احتفلنا نحن –الشيوعيين–، وكان من بيننا المرحوم هاشم الطعان، والاستاذ طالب السعد، في مركز توقيف القرنة بعيد ميلاد ابنتي ايمان الأول.

كانت سنوات دراستي في دار المعلمين الابتدائية في البصرة 1958-1956 نافذة لم تغلق لليوم، ففيها تعرفت على طلبة اصبحوا اليوم مسؤولين، وتعرفت على دور الموسيقى التي درسّها لنا المرحوم جوزيف اصطيفان، وتعرفت على فرقة البصرة للتمثيل، بقيادة محمد الرديني، فشاركت لأول مرة ممثلا في مسرحية "حمدان وفاشية الاسبان" وتعرفت على طلبة وطالبات شكلت هذه المعرفة نافذة لم تغلق إلى اليوم، وتعرفت على الحزب الشيوعي تنظيما طلابيا نشطا، ولما حدثت ثورة تموز 1958 كنت من الطلبة" المقاومة الشعبية" الذين شاركوا في استقبال المناضل مسعود بارزاني وهو يعود للعراق، وتعرفت قبل ذلك بزهو على الكلبة آلايكا ومن ثم على غاغارين وهو يطير في الفضاء، كان ذلك اليوم من أعظم أيام انتصار الشيوعية في العالم..وفي دار المعلمين أيضا كتبت أول مسرحية انتصارا لثورة الجزائر، وفي دار المعلمين أيضا نشرت أول خاطرة لي في صحيفة المدرسة باشراف الاستاذ رزوق فرج رزوق.كان الاساتذة الذين يدرسوننا في الدار من خيرة المثقفين: منهم الدكتورمحمد جواد الموسوي، والاستاذ رزوق فرج رزوق، والاستاذ عبد الله العزاوي مخرج اول فليم عراقي ملون "نبو خذ نصر" وفنان تشكيلي حبب إليّ فن الكولاج فكنت متميزا، كان الاستاذ رزوق رحمه الله يقرأ لنا بعض قصائدة من ديوانه الجديد"وجد" وكان المخرج عبد الله العزاوي يرينا بالصور الملونة خطوات اخراجه لنبوخذ نصر، هذه البيئة كانت الأساس الذي عمقت ثقافة القرية فيَّ، ويوم تخرجت معلما وعمري سبع عشرة سنة، رفضت مديرية التربية تعيني معلما ما لم يكن عمري ثماني عشرة سنة، وهكذا زادت موالدي سنة واحدة فتغيردفتر الجنسية وتغير معه كل ما في الاعوام اللاحقة من مدونات وأحداث، أن تضاف لعمرك سنة دون أن تعيشها شيء ملفت للنظر. وعندما عينت معلما في مدرسة" الافلاذ " في قرية الشرش في 27-3-1959كنت بمعية مكتبة لايقل عدد الكتب فيها عن 100 كتاب، معظم الكتب كانت مسرحيات وكتب سياسية..

في الفترة التي اعقبت تعيني معلما، تعرفت على عدد من الشخصيات الشيوعية القديمة،وعملت في خلايا عديدة من بينها خلية للفلاحين الذب عمقوا حاستي النقدية بما يعانونه من مشكلات في الري والزراعة والحبوب والقوت، فزاد تعلقي بالشيوعية، وبفترة قصيرة كنت عضو محلية القرنة، في هذه الفترة الزاخرة بالأحداث والقراءة والتنظيم، بدأت بالكتابة النقدية أو لتفكير بها، ويوم انتقلت إلى البصرة عام 1964بعد فترة الفصل السياسي التي اعقبت دموية شباط الأسود عام 1963، دخلت ميدان القراءة النقدية الجادة، وكانت أولى باكورة مقالاتي ما ينشر في ملحق جريدة الجمهورية في بغداد، ثم في مجلة الآدب ومجلة الكلمة..كل ما يمكن قوله في هذا الصدد أنني جئت للنقد من التحام رافدين:الحكايات الشعبية والتنظيم السياسي، حيث كنت أقرأ الكتاب واقرنه بما يجري واقعيا، هكذا بدأت حاستي النقدية بمنهجية اجتماعية وبخلفية ثقافية ماركسية..

في البصرة شكلنا فرق عمل فنية عديدة وبمعية شباب من الفنانين والموسيقيين وكتاب وشعراء انتجنا عام 1968 اوبريت "بيادر خير" فكان نافذة واسعة على الثقافة الموسيقية المسرحية كنت كاتبا لقصة وسيناريو هذا الأوبريت الأول في العراق..في هذه السنوات جرت محاولات لاعادتي للتنظيم الشيوعي، ولكنها فشلت عندما عرفت ان الذي اتصل بي كان من تنظيم القيادة المركزية، وأنا شخصيا لا أحب أن أخرج على السياق العام، حيث كنت مؤمنا وما أزال أن أي تغيير يتم ضمن التنظيم، وبالفعل لم يمض فترة حتى عرفت أن الذي اتصل بي قتل في كردسان..

سنوات البصرة من 1964 - 1970 ، ومن قبلها سنوات الدراسة في دار المعلمين كانت الأرضية الأنضج في بداياتي، ففيها تشكلت نوى التفكير اللاحقة، وفيها تشربت مع الفن والفنانين وعشقت شط العرب وابي الخصيب وعملت مع السياسيين وتتلمذت على خيرة الكتب وصنعت لي مكتبة كبيرة، كانت وما تزال مدفونة في تراب القرية وفي أزقة السيمر في البصرة.

2

ما أن حطت رحالي في بغداد عام 1970 حتى التحقت بمجلة الحزب الشيوعي العراقي"الثقافة الجديدة"التي كان يراس تحريرها الدكتور المرحوم صلاح خالص، وبدأنا من جديد العمل لعودة اتحاد الأدباء في العراق، وبالفعل نجحت الجهود في ذلك فكنت أحد أعضاء الهيئة الإدارية التي تشكلت للإتحاد. في مجلة الثقافة الجديدة ومن ثم في جريدة طريق الشعب لاحقا شكلنا أنا والناقد فاضل ثامر ثنائيا نقديا مثميزاً ابتداء بصدور كتابنا المشترك "قصص عراقية معاصرة" عام 1971 واستمرارا بالنشاط الثقافي النقدي أوعلى صعيد العمل الثقافي المشترك، وكنت والزميل فاضل نؤمن أن الفكر لا حجر عليه، وأن الثقافة العراقية لا تتكون من رصيف واحد، وأن المثقفين ليسو ممن يحاسبون سياسيا إلا إذا كان فعلهم منافيا للثقافة، وهكذا كنا في لحمة العمل الثقافي المشترك مع بقائنا ضمن الإطار الفكري الماركسي، في هذه الفترة عدت للتنظيم ثانية وبدأت العمل السياسي/ الثقافي المشترك وكنت ضمن مجموعة كبيرة من مثقفي العراق نشطاء أمناء على ما يؤمن ويفكر به شعبنا العراقي..

ضمن هذا السياق بدأت شخصيتي النقدية تتشكل بخطوات منهجية، حيث ركزت على المسرح والقصة والرواية، فظهر لي كتابان هما "القاص والواقع" عام 1975 و"وجها لوجه" في عام 1976 ، الكتاب الأول في نقد القصة والرواية، والثاني في نقد المسرح.. ضمن هذاالسنوات التي تمتد ما بين 1960 – 1970 بدأت عندي حاسة المكان تنمو ليس بفعل المشاهدة والمعايشة بل بفعل تشخيصي الشخصي للظاهرة فيما أقرأه من كتب ولقاءات وأحاديث، وعندما أصدر القاص محمد خضير مجموعته القصصية "المملكة السوداء عام 1971، كتبت عنها مقالا نشر في كتابي القاص والواقع تحدثت فيه عن السلالم والغرف المعزولة وعن سكن النساء والأعشاش القديمة، والسجاجيد المصورة واهتمامات الشخصيات بالبيت وغيرها من الإشارات المبكرة عن فاعلية الأمكنة في النصوص، دفعتني هذه الكتابات إلى تبني مشروع نقدي عن " الرواية والمكان" وكان ميدان تطبيقاتي الرواية العراقية تحديدا، انجزت الجزء الأول منه عام 1978 قدمته للنشر ضمن الموسوعة الصغيرة لكني سجنت في هذه السنة مما تعطل نشر الكتاب إلى عام 1980 وخلال هذه الفترة بين الكتابين وقبلها أنجزت الجزء الثاني من الرواية والمكان ونشر الجزءان في عام 1980 الأول ضمن الموسوعة الصغيرة في شباط من 1980 والثاني في آفاق عربية في نيسان 1980 وبذلك يكون المشروع النقدي النواة قد ظهر بالكامل، لأعقبه بعد سنوات بكتابين هما "اشكالية المكان في النص الأدبي"1985 و"دلالة المكان في قصص الأطفال" 1986. وهكذا يستمر المكان معي واستمر معه حتى شكل هويتي النقدية..

تشكل المكانية بعدا جديدا في بنية النص، مهما كان نوع هذا النص، أدبيا كان أم سياسياً، لنأخذ مثالا هو مظاهرات الربيع العربي، نجدها تجري في الساحة، ساحة التحرير، ساحة التغيير، ميدان التحرير، وهكذا يصبح فضاء الساحة فضاءا للمعارضة، بينما يكون فضاء السلطة هو قلاعها وقصورها ودوائرها العسكرية والأمنية، فبقدر ما يكون فضاء الساحة مفتوحا ولا فتته معلنة وجماهيريتة متحركة وبصوتها تبلغ رسالتها، يكون فضاء القلاع مغلقا وقراراته سرية ومدجج بالاسلحة والقمع ولافتتها هي منع المظاهرات ، هذه المواجة بين موضعي الساحة/القلعة تشئ المنطقة الوسطى أو المابين، أي جدلية الحوار، وفيها يتم إذابة الخطابين في خطاب وطني واحد، ولكن وبحكم طبيعة الفضاء المغلق والسلاح والقرار الفوقي لا أحد من ممثلي القلاع يوافق على الحوار مع ممثلي الساحة، هذه البنية الجدلية للمكان مغيبّة ليس بفعل الساحة وخطابها المفتوح ، إنمابفعل القلاع وخطابها المغلق.. وهنا تبدأ المصادمات تمهيدا للثورة، نخلص من ذلك كله إلى أن الفضاء أصبح قوة معرفية، وفكرة لا يمكن الاستغناء عنها في بنية أي نص حتى لو كان النص تحية من يد.

سيكون لي في المستقبل القريب رؤية أكثر تحديدا وتوصيفا لأفكار نقدية مهمة أجدها ضرورية لتجديد خطابنا النقدي، شخصيا مؤمن بالاستفادة من الخطاب النقدي الغربي ومن مدارسه الفلسفية والفكرية والنقدية، ولكني مع تطوير مفردات خاصة بثقافتنا وبمنهجيتنا الفلسفية التي تقوم شئنا أم أبينا على عمق الفلسفة العربية الإسلامية، ومن هنا أجد من الضروري الإنتباه لعمق التيارات الفلسفية الإسلامية خاصة التنويرية منها ودمجها في المنظومة الإنسانية للفكر الحر ..فأنا أعمل ومنذ ثلاثين سنة على تطوير مفهومي الصيانية والتدميرية، وهما مفهومان مستلان من الفلسفة العربية الإسلامية التي ارى أنها تقوم على جدل الموضعة وليس على الجدل الماركسي أو الديالكتيكي المادي وحده، جدل الموضعة جدل تاريخي يعتمد الاسس الفلسفية للمادية التاريخية ولكنه مختص بالفكر الذي يتطور من داخله وليس بفعل التطور الثوري أو الطبيقي الذي يقوم كليا على التغيير، التغيير في جدل الموضعة داخلي يلغي شرائح من الصيانية وأخرى من التدميرية، ولكن لا يلغي مكونات الفكر الإسلامي .فجدل الموضعة فكر مادي يتحرك ضمن الفلسفة الاسلامية نفسها ويتطور بتجديد طروحاتها وليس بتغييرها جذريا، وهذه النقطة الموضعية هي التي تحرك المسار التاريخي للإسلام دون أن يفقد الإسلام حقيقته الإنسانية، وفي الوقت نفسه تنشأ ضمن هذه الحركة قوى وحركات مضادة وباسم الإسلام نفسه، وهي الحركات التدميرية، والتدميرية ثورية وتقدمية ولكنها تسعى لتغيير طرق التطبيق والتشريع ولا تسعى لإلغاء الفكر أواستبداله، وعندما تشعر القوى الصيانية بالخطر يداهم مؤسساتها ووجودها تنهض من جديد وتغير مساراتها الخاطئة وقد تقضي على القوى التدميرية بالقوة لكنها وترمم ما هو خطأ في مسارها الخطأ الذي جعل القوى التدميرية تثور ، بعد الترميم تعود القوى الصيانية إلى مسارها الطبيعي ولكن بحركة للأمام وليس بنقلة تغييرية كاملة، أما إذا نجحت القوى التدميرية واستولت على المؤسسات ستصبح بالضرورة قوى صيانية وتتحول القوى الصيانية كلها أو شرائح منها إلى قوى تدميرية، وهكذا يستمر جدل الموضعة بالتغيير الذاتي الداخلي وقد يتم ذلك بطرق العنف أو الحوار، هذا الترميم وهذا التطور الموضعي قد يعيد الصورة القديمة ولكن بعد أن ينقلها لنقطة متقدمة دون أن يفقد فلسفته الأصلية، فالنص الإسلامي نص مفتوح كما أرى وليس نصا مغلقا ولكن انفتاحه متحرك ضمن ما تطرحه القوى المضادة المنبثقة من الفكر نفسه، بمعنى أن القوى الصيانية والقوى التدميرية كلاهما يؤمن بالفكر نفسه ولكن تطبيق رؤيتة كل الفريق منهما مختلفة، هذا هو شأن الثورات والحركات السياسية:المعتزلة والقرامطة والبابكية والخرمية وغيرها، العملية تنتج كما في الجدل الهيغلي والماركس مربعا ثالثا وسطا يجمع بين فكر الصيانية وفكر التدميرية، دون أن يتبنى أيا منها في العملية البنائية ليستقر الأمر كما هو ولكن بنقلة أكبر إلى الأمام، هذه الجدلية لم تدرس في ضوء طبيعة مجتمعاتنا الزراعية والأرستقراطية القومية والدينية وهي طبيعة متشكلة تاريخيا منذ القدم وأنشأت الإسلام نموجا دينيا ليصونها وضمن طروحاتها وبالتالي لا يمكن ان يكون التغيير فوقيا ما لم يغيّر الكيان نفسه. سيكون ذلك نقلة في المكانية الفلسفية وهي نقلة مهمة...

تقوم فكرة الصيانية والتدميرية على خمس دوائر كبيرة، تتفرع إلى مئات الدوائر الصغيرة، وقد شرحت بعض خطواتها الابتداء في كتابي عن المكانية في الفكر والفلسفة والنقد..

3

سيكون من المنطقي بعد هذه الخطوط العامة أن اصل إلى نقطة مهمة، وهي تشعب طروحاتي النقدية وشمولها ميادين مختلفة من الأدب والفلسفة والفكر، فأنا معني بتكوين اطروحة قد أوفق فيها أو لا أوفق، هي مجرد محاولة أساسها النقد وخلفيتها الماركسية واضحة، وميدانها النص الأدبي والاجتماعي والتاريخي بخلفيته الإنسانية والمشبع بالرؤية التجديدية لغة وتاريخا وسياقا معرفيا، هذه الأطروحة تقوم على مبدأين:

الأول هي أن الصيانية والتدميرية ليست هي فكرة الثابت والمتحول، ولا هي فكرة القديم والحديث، بل هي فكر وجود الأثنين في بنية موضع واحد، هذا الموضع مادي/فكري.يتصارع فيه الصياني والتدميري ضمن أطر فلسفية واحدة ولكن رؤيتهما التطبيقية للحياة مختلفة..

المبدأ الثاني، يقوم على بقاء الفلسفة العربية الإسلامية مثلا قائمة منذ أربعة عشر قرنا، وهي بين مدّ وجزر، وكأنها لا تتحرك ، ولكني أقول أن بقاءها طوال هذا العمر كله دليل على وجود قوة معرفية محركة في داخلها لم تكتشف بعد، وهذه القوة هي جدلية الصيانية التدميرية ، وليس اية جدلية أخرى مفترضة أو منصوص عليها..هذه الجدلية تستمد رؤيتها من الجدلية الهيجلية والماركسية ولكن ميدانها الفلسفة العربية الإسلامية دون أن يعني ذلك تحول الفلسفة العربية الإسلامية إلى الفلسفة الماركسية..

وبعد.. هل يمكن القول أنني أخرجت جزءا من خرج الصياد بشهادة غير مستقرة ؟ نعم فأية شهادة تقول كل ما عندها تصمت وتموت..

لويس خورخه بورخس

وردة باراسياسوس

ترجمة : نصيرفليح

إلى الأسفل، في مختبره، الذي تم التخلي لأجله عن غرفتي القبو، صلى باراسيلسوس إلى إلهه، إلهه غير المحدد، أي إله، أن يبعث إليه مُريداً .

كان الليل يتقدم. النار المتلاشية رمت ظلالاً غير منتظمة في الموقد داخل الغرفة. النهوض لإنارة المصباح الحديدي كان مشقة كبيرة. باراسيلسوس، سئماً من النهار، اصبح غائباً بالتدريج، والصلاة نُسيت. كان الليل قد أباد المخلفات الغبراء والأتون عندما أتت طرقة على بابه. نهض بهيئة نائمة، تسلق السلم الحلزوني القصير، وفتح جانباً واحداً من الباب المزدوج. خطا غريب إلى الداخل. كان هو أيضا متعباً جداً. أشار باراسيلسوس الى مقعد، جلس الرجل الآخر و انتظر. لم يتحدث أي منهما لبرهة.

كان السيد أول من تكلم.

"أستذكرُ وجوهاً من الغرب ووجوهاً من الشرق،" قال بنوع من الرسمية، "ومع ذلك لا أستذكر وجهك .من أنت، وماذا تريد مني؟"

"إسمي ذو علاقة قليلة بالموضوع،" أجاب الرجل الآخر. "سافرت ثلاثة أيام وثلاث ليال لأدخل إلى بيتك. أرغب أن أكون تابعك. جلبت لك كل ممتلكاتي."

أظهر أمامه كيساً وأفرغ محتوياته على الطاولة. كانت القطع النقدية عديدة، وكانت من الذهب. فعل ذلك بيده اليمنى. أدار باراسيلسوس ظهره ليشعل المصباح؛ عندما استدار ثانية، رأى أن يد الرجل اليسرى قد حملت وردة. الوردة ضايقته.

اتكأ إلى الخلف، شابك أطراف أصابعه، وقال:

"أنت تعتقد أني قادر على استخلاص الحجر الذي يحيل كل العناصر إلى ذهب، و مع ذلك تجلب لي ذهباً. لكن ليس الذهب ما أبتغي، و إذا كان الذهب ما يهمك، فلن تكون تابعي أبداً."

"الذهب لا فائدة منه بالنسبة لي" أجاب الرجل الأخر. "هذه القطع النقدية ترمز ببساطة إلى أمنيتي بالانضمام إليك في عملك. أريدك أن تعلمني الطريقة . أريد أن أسير إلى جانبك على ذلك السبيل الذي يؤدي إلى الحجر."

"السبيل هو الحجر. نقطة المغادرة هي الحجر. إذا كانت هذه الكلمات غير واضحة لك، فأنت لم تبدأ بالفهم بعد. كل خطوة تقوم بها هي الهدف الذي تبحث عنه." لفظ باراسيلسوس الكلمات ببطء .

نظر الرجل الأخر إليه بتوجس.

"لكن،" قال، وقد تغير صوته، "إذاً، ليس ثمة من هدف؟!"

ضحك باراسيلسوس.

"المنتقصون من قَدْري، وهم لا يقلون عدداً عن البلهاء، يقولون أنه لا يوجد، ويدعونني دجالاً. أعتقد أنهم مخطئون، رغم أنه من الممكن أن أكون مخدوعاً. أنا أعلم أن هناك سبيلاً."

كان هناك صمت، ثم تكلم الرجل الآخر.

"أنا مستعد لقطع هذا السبيل معك، حتى لو توجب علينا السير أعواماً عديدة. إسمح لي أن أعبر الصحراء. إسمح لي أن ألمح، ولو عن بعد، الأرض الموعودة، رغم أن النجوم تمنعني من وضع قدم عليها. كل ما أطلبه هو دليل قبل أن نبدأ الرحلة."

"متى؟" قال باراسيلسوس، بشيء من الصعوبة.

"الآن،" قال التابع بنبرة حاسمة جافة.

كانوا قد بدأوا محادثتهم باللاتينية؛ الآن صاروا يتكلمون الألمانية.

رفع الرجل الشاب الوردة في الهواء.

"لقد اشتهرتَ،" قال الرجل، "بأنك قادر على إحراق وردة إلى رماد وجعلها تظهر ثانية، بسحر طريقتك. دعني أشهد تلك الأعجوبة. أنا أسأل هذا منك، وبالمقابل سأقدم حياتي كاملة."

"أنت ساذج ،" قال الأستاذ. "لا حاجة بي إلى السذاجة؛ أنا أتطلب الأيمان."

واصل الرجل الآخر بعناد:

"تحديدا لأني لست ساذجاً فإني أرغب أن أرى بأم عيني إفناء وبعث الوردة."

" أ نت ساذج،" كرر باراسيلسوس. " أتقول أني أستطيع أن أدمرها؟"

" أي إنسان يملك القوة لتدميرها،" قال التابع.

"أنت مخطئ،" رد السيد. "أتعتقد حقاً أن شيئاً ما يمكن تحويله إلى لا شئ؟ أتعتقد أن آدم الأول في الفردوس كان قادراً على تدمير زهرة واحدة، ورقة عشب واحدة؟"

"نحن لسنا في الفردوس،" أجاب الشاب بعناد. "هنا، في العالم الدنيوي، كل الأشياء فانية".

نهض باراسيلسوس على قدميه.

"أين نحن إذاً، إن لم نكن في الفردوس؟" سأل بارسيلسوس.

"أتعتقد أن الآلهة قادرة على خلق مكان، ما لم يكن الفردوس؟ هل تعتقد أن السقوط هو شئ آخر غير عدم إدراكنا أننا في الفردوس؟"

"الوردة يمكن أن تُحرق،" أجاب التابع بتحدّ .

"لا تزال بعض النار هناك،" قال بارسيلسوس، مشيراً باتجاه الموقد. "إذا رميت هذه الوردة بين الجمرات، فلسوف تعتقد أنها قد أُتلفت، و أن رمادها حقيقي. أقول لك إن الوردة أبدية، و أن تجلياتها فقط قد تتغير. بكلمة مني، سوف تراها ثانية."

"كلمة؟" سأل التابع، محتاراً. "الأتون بارد، والمخلفات مغطاة بالهباء. ما هذا الذي سوف تفعله كي تعيدها ثانية؟"

نظر باراسيلسوس إليه بشيء من الحزن.

"الأتون بارد،" حرك رأسه جيئة وذهاباً، "و المخلفات مغطاة بالهباء. في هذه المرحلة من رحلتي الطويلة استخدم أدوات أخرى."

"لا أجرؤ أن اسأل ما تكون" سأل الرجل الآخر بتواضع، أو بمكر.

"أنا أتحدث عن تلك الأداة التي استخدمتها الآلهة لخلق السماوات والأرض والفردوس اللامرئي الذي نوجد فيه، لكن خطيئته الأصلية خفية عنا. أنا أتكلم عن الكلمة، التي تُعلم لنا بعلم الكابالا ."

"أَسألك،" قال التابع ببرود، "إن كنت ستكون عطوفاً جداً كي تريني اختفاء وظهور الوردة. لا فرق عندي مطلقاً إن كنت تعمل بالأنابيق أو بالكلمة."

تمعن باراسيلسوس للحظة، ثم تكلم:

"لو فعلتُ ما تَطلب، لكنتَ قلت أنه كان ظهوراً رُميَ بالسحر على عينيك. ما كانت المعجزة لتأتيك بالإيمان الذي تبحث عنه، ضع، إذاً، الوردة جانباً."

نظر إليه الشاب، وهو لا يزال متشككاً. بعدها رفع باراسيلسوس صوته.

"أضف إلى ذلك، من أنت لتدخل إلى بيت سيد وتطلب معجزة منه؟ ما الذي فعلته لتستحق هبة كهذه؟"

أجاب الرجل الآخر مرتعشاً:

"أنا أعلم أني لم أفعل شيئاً. ولكن لأجل السنين العديدة التي سوف أقضيها بالدراسة في ظلك أطلب ذلك منك- اسمح لي أن أرى الرماد ثم الوردة. لن أطلب شيئا أكثر. سوف أصدق شهادة عيني."

خطف الوردة المجسدة القرمزية التي تركها باراسيلسوس راقدة على الطاولة، ورماها داخل اللهب. تلاشى لونها، وكل ما تبقى شيء من رماد. للحظة لا نهائية واحدة، انتظر الكلمات، والمعجزة.

جلس باراسيلسوس بلا حراك. قال ببساطة غريبة:

"كل الفيزيائيين وكل الصيادلة في (بازل) يقولون أنني مخادع. ربما كانوا على حق. هناك هو الرماد الذي كان الوردة ، والذي لن يكون الوردة بعد الآن."

شعر الشاب بالخجل. لقد كان باراسيلسوس مشعوذاً، أو مجرد شخص كثير الرؤى، وهو، التطفل، دخل عبر بابه وأجبره على الاعتراف الآن أن طرق سحره المشهورة كانت زائفة.

جثا على ركبتيه أمام السيد وقال:

"ما فعلتُه لا يمكن غفرانه. لقد افتقدتُ الإيمان، الذي يتطلبه الرب من كل المؤمنين. دعني، إذاً، أظل أرى الرماد، سأعود ثانية عندما أكون أقوى، وسوف أكون تابعك، وفي نهاية السبيل سوف أرى الوردة."

تكلم بعاطفة خالصة، لكن العاطفة كانت الشفقة التي شعر بها للأستاذ المسن – مبجلاً جداً، مُعَنَّفاً جداً، مشهوراً جداً، وبالتالي أجوفاً جداً. من كان هو، جوهانس غريسباخ، ليكتشف بيد مدنسة أن وراء القناع كان لا أحد؟

تَرَكَ القطعَ المعدنية سيكون فعلَ تصدّق للفقراء. التقطها ثانية عند خروجه. رافقه باراسيلسوس إلى مقدمة السلّم وقال له انه سيكون مرحبّاً به دائماً في ذلك البيت. علم كلا الرجلين أنهما لن يريا بعضهما ثانية.

ظل باراسيلسوس بعد ذلك لوحده. قبل أن يضع المصباح خارجاً ويعود ثانية إلى مقعده الضجر، صبَّ حفنة الرماد الرقيقة من إحدى اليدين لمقعرة، وهمس بكلمة واحدة. ظهرت الوردة ثانية.

أمس إبتدأنا نموت...!

إلى محمود عبد الوهاب
وإلى الذين قبله والذين بعده..!

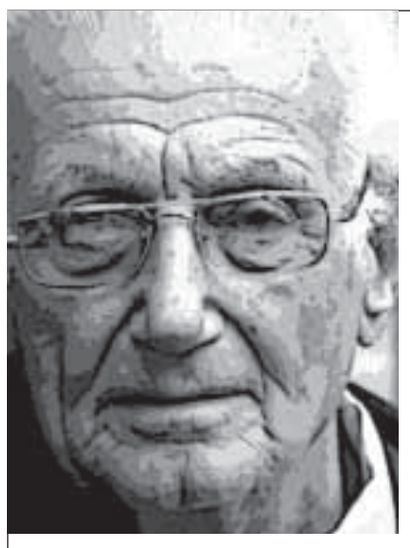

كاظم الحجاج

(1)

منذ أربعينيات عصرنا الذي مات،أربعينياتنا في العراق ومصر والشام، كان نجوم الحياة زمانذاك الأدباء والمثقفين والفنانين، الرسامين والموسيقيين والعلماء...في العالم البعيد وعالم العرب والعراقيين..كان أولئك النجوم لوحدهم، ومعهم معلمونا ومدرسونا، وأساتذة جامعاتنا الناشئة، زمانذاك، حتى حل العسكر، في مطلع خمسينيات مصر، وفي أواخر خمسينيات العراق. كانوا عسكرا مهزومين في حرب فلسطين الأولى.

ونحن كنا نقرأ ونسافر إلى بلاد الله البعيدة، ونشاهد المسرح والسينما في مصر والعراق وسوريا ولبنان.. وكنا محترمين مصانين في حماية حكومات أبناء العائلات من ملوك ورؤساء وزارات ووزراء ومدراء.. قبل أن يحل العسكر المهزومون في فلسطين، الذين فتحوا المعسكرات وأغلقوا البرلمانات والصحف وصيّروا الحياة كلها رهينة (الثأر) من هازميهم في فلسطين: عُزل أوقُتل الملوك الطيبون الوطنيون المسالمون (فاروق مصر وفيصل العراق) على الأقل..وفي عصر هذين الملكين ماكان مثقف أو أديب أومعلم مدرسة يتعرض للحجز أسبوعا إلا وأفرج عنه بالقانون ليخرج بطلا وطنيا مهابا، حتى وإن قال (علمٌ ودستورٌ ومجلس أمة / كل عن المعنى الصحيح محّرفُ) أو حتى وإن قال متوعدا (أنا حتفهم ألج البيوت عليهمو....)

(2)

كانت الحرية قاعدةً والسجن إستثناءً. والعسكر قلبوها: لم يثأروا ممن هزمهم في فلسطين-لأنه صار أقوى – بل ثأروا منّا، نحن الذين لم نهزمهم،.. لقد هزموا حياتنا كلّها: هزموا البرلمانات والأحزاب والصحف والمسارح والسينمات وبارات العزّاب وحدائق العائلات والمسابح العائلية.. وفتحوا المعسكرات، لكي نتدرب كلنا على حرب خاسرة أخرى!.. كنا نسافر إلى أوربا شهرا، كاملا بمئة دينار أومئة جينيه، أو ألف ليرة لبنانية أو سورية.. وما كنا نفكّر حتى بشراء أرض لكي نبني عليها بيتا،فإيجار البيت كان بدينار ونصف شهريا، أو بثلاثة دنانير للأغنياء! وكان لنا أملٌ، نعلنه في تظاهراتنا، هو أن تصير برلماناتنا وأحزابنا وصحفنا يوما مثل برلمانات وأحزاب وصحف أوربا.. وكان أمل مفتوح ممكن من دون إنقلابات ولادماء..لكن العسكر بعدما جاءوا أغلقوا أملنا هذا إلى الأبد، وفتحوا معسكراتهم، لكي نتدرب كلنا على حرب خاسرة أخرى! .. وبعد العسكر الخاسرين الكبار، انفتح الباب للانقلابيين الصغار.. جاء العقداء والعرفاء، بل حلت أحزاب إنقلابية طارئة، لاعقداء ولاعرفاء في صفوفها، فمنحت الرتب العسكرية لمعلمي مدارس أرياف وصحارى وإلى باعة أرصفة(عقائديين) صاروا ضباطا!

(3)

محمود عبد الوهاب،ما كان يفكّر في شراء أرض لبناء بيت، لأن إيجار بيته ما كان يذكر قياسا إلى راتبه المدرسي. كان يسافر ثلاثة أشهر من كل عام،وما كان يفكر بالزواج، وهو الوسيم المطلوب من عشرات الحسان هنا و...(هناك) ـ حيث يسافر كل عام ـ... وكانت عشيقته هي مكتبته المنزلية، وكانت كتاباته هي التعويض عن أفراد العائلة! والإنقلابيون، الذين لاعقداء ولاعرفاء لديهم، كانوا امعن في الإنتقام من حياتنا. وكأن لاثأر لديهم من هازمي آبائهم في فلسطين، بل ثأرهم كان معنا نحن الذين نملك مكتبات بيوت، ونتحدث عن أسماء وأشياء يجهلونها!

بدأ الإنقلابيون الأوائل في محاولة حذف نجومية – وبالتالي حصانة – كل من طه حسين والعقاد وهدى شعراوي في مصر. وحذف نجومية الرصافي والزهاوي وعلي الوردي..في العراق. وترسيخ نجوميتهم هم،فلم يجدوا بيئة لنجوميتهم غير الشوارع والساحات والإذاعات..أما نجومية المثقفين والفنانين فبقيت في الجامعات والمكتبات وهي الأرقى من كل الشوارع والساحات...

(4)

توفيت أخت محمود-شقيقته- وبقي في بيت لانفس فيه سوى أنفاسه هو، وأنفاس مؤلفي وشخصيات مكتبته المنزلية. قبل وفاة شقيقته كان يقطع سهرته معنا بحجة أن شقيقته وحدها ويقول لنا بمرح: (أنا كما ترون مصاب بداء(الشقيقة)، كان القديس محمد خضير أكثرنا زيارة لمحمود في شقته، بعد وفاة شقيقته ووعكته الصحية الأولى. في المقهى جاء محمود يلبس نعالا وإبهام قدمه مربوط بالشاش.استفسرتُ منه فقال: جرح بسيط أحدثه محمد! كان محمد خضير يقلّم أظافر قدمي محمود وتسبب بجرحه! حكى محمود الأمر بتلقائية.. من يصدق أن كائنا بحجم ملك(المملكة السوداء)، يقدم ذلك الدرس في التواضع (درس يكزبر الجلد!) محمد خضير يقلّم أظافر قدمي صديقه؟! (ما احوج صغارنا إلى تواضع الكبار هذا!!)

(5)

من سنن الحياة التي يحار في تفسيرها المرء، أن الإنسان العظيم، ذلك الكائن الأرقى يكاد لايتجاوز السبعين عاما. بعد الخمسين يبدأ الخراب الجسدي من داخله ومن خارجه: تتحول البشرة السمحة إلى حراشف وينحني الظهر، وتستأسد على الكائن العظيم أخّس الأمراض من الزكام إلى الإمساك..إلى كل شيء. وبعد السبعين لاتكاد تميّز ملامح ذكر عن أنثى!..كان ذلك حديثنا في ذات يوم، محمود وأنا..وروى هو حادثة(ساخرة) من سخريات سنن الحياة. يقول الخبر- الحادثة كماراواه محمود- إن سلحفاة نابليون ماتت قبل عام في حديقة الحيوان بمصر.. ضحكنا من حكمة الحياة تلك: ان تعيش سلحفاة أربعة قرون تقريبا،ولا يعيش(رامبو) أو (السياب) أكثر من ثلاثين عاما.. في أيام محمود الأخيرة فرحنا من عدم وجود مرآة يرى فيها ذلك الوسيم القديم ملامحه آلآن. وعرفنا أنه ما كان يريد (الشفاء) كي لايخرج بملامح لاتليق به..

(6)

في أحد حواراتنا الثنائية القديمة قلت له: لو أنك كنت مصريا مثلا ، وأنت بهذه الثقافة وهذا العمر، فأنت مدين لقّرائك بعشرين كتابا على الأقل.ابتسم هو بموافقته...لكنني تذكرت أن (هرييت ستاو) صاحبة (كوخ العم توم)، قد وصلت بروايتها إلى الطبعة العشرين بعد المئة في العام ألأول من صدورها!! ذلك العام 1853 حيث كانت الحرب الأهلية الأمريكية، وكان الأمريكان يقرأون؟! فأي مردود يرتجيه محمود من كتبه قياسا إلى كتّاب العالم؟ وكيف نطالب كاتبا (خاسرا) بأن ينتج أكثر من أربعة كتب لاتحصل على نصف رأسمالها.. فهل خرّب العسكر قدرتنا على الإبداع بعدما خربوا قدرتنا على الربح من أي شيء..؟ ألم نتأخر جميعا عن الموت، بعد ما ماتت مكتباتنا ومسارحنا وسينماتنا ومراقصنا وملاهينا و...(محمودنا)؟

لوحة مسرحية

السندباد الشعري

مستقاة من سيرة حياة وشعر باسم فرات

إعداد ومسرحة : ناظم السعود

"بقعة صغيرة فارغة ___ تبدو جزءا من قاعة مهملة، الا من قفص مفتوح على جهة اليسار .. البقعة للوهلة الاولى تبدو في حالة إظلام تام فلما يوجه الضوء عليها يظهر الشاعر قابعا في جوف القفص مقابل الباب المفتوح وبجانبه حقيبة عسكرية مكتظة ولا يكاد الشاعر يتحرك بل يضع يديه حول رأسه ليتقي اصواتا تهجم عليه من مكان ما يتضح فيما بعد ان مصدرها هو الحقيبة العسكرية المفتوحة .."

صوت ١ : الخراب امامك

صوت ٢ : الموت حولك

صوت ٣ : أنت معقود بحبل اليتم

صوت ٤ : ستغدو حطبا لنار الحروب

" الشاعر يتالم مما يسمع فيسرع الى الحقيبة فيقفلها بعنف فتصمت الأصوات كأنها قادمة من جوفها "

الشاعر :" يخاطب الحقيبة " لا .. لا .. كفى يا أصوات البغض ونعاق البوم .. ثلاثون عاما وسمومكم تطاردني وتلتف حولي مثل آفة

" يلتف حول نفسه مرات ثم يشخص بصره باحثا عن أفق خارج القفص "

الشاعر : سأتقصى أسرار الشمس .. وسأقول لها

انتظريني أيتها الشمس

لانتشل صباحاتي من رصيف

ليس فيه سوى جثتي

" يدخل شرطي بخطوات سريعة حاملا سجلا كبيرا ثم يقف أمام الشاعر وقد فتح سجله .."

الشرطي : " بلهجة رسمية " أنت تحدث ضوضاء وتثير البلبلة فمن أنت؟"

الشاعر : " ينظر الى الأفق نفسه فكأنه يناجي الأفق ولا يجيب الشرطي الذي يبدأ بتدوين ما يقوله في السجل " أنا باسم فرات يا الله .. أتعرفني؟!

المخافر موشومة على جلدي

وأمي لم تلتفت للشظايا

حين مشطت صباي

فأهالت الشمع والآس فوق صباحي

الشرطي : " متابعا استجوابه " ومن يطاردك ؟ ولم سجنت نفسك؟

الشاعر : " مازال ينظر للافق " الموت يخيم على وطني منذ عقود بمآذنه وقبابه وأهله وأرضه .. لم يسلم أي شيء من هول الفجيعة .. حتى الماء قاموا بتجفيفه

" الشاعر يجول متخبطا بين زوايا القفص "

" مؤثر / أصوات مدافع وقصف الطائرات وإطلاق الرصاص"

الشاعر : " بصوت مقهور "الحروب هي سجني وسجاني ،اختارتني ولم اختارها فأصبحت ظلي ومنفاي

الحروب التي كنت خاسرها الوحيد

رمادها أغلق روحي

وجفف زيت طفولتي

فمضيت ابحث عني

"الشاعر يعود الى الزاوية مكورا جسده مرددا بصوت حزين"

الشاعر : أواه .. أريد الخلاص من الشرطي

القابع في راسي

" إظلام سريع يعم البقعة"

" حين يعود الضوء إلى البقعة يفاجأ الشاعر باختفاء القفص والشرطي فينهض مصمما على أمر"

الشاعر : " موجها كلامه الى الجمهور " إلى الشمس .. إلى الشمس!!

" يسرع خارجا من جهة اليمين "

* * * *

" ينهض من بين الجمهور المعلق رقم ١ قائلا "

معلق ١ : " مواجها الجمهور " ولد الشاعر باسم فرات يوم ١-٣-١٩٦٧ بمدينة كربلاء وبعد سنتين من ولادته قتل أبوه الذي كان يدافع عن جارة لهم تعرضت للعدوان من اغراب وهكذا تيتم الشاعر مبكرا..

" ينهض من بين الجمهور المعلق رقم ٢ فيكمل السيرة"

معلق ٢ :" مواجها الجمهور " جاءت ولادته في كربلاء حيث القباب الذهبية ومنائر الاضرحة في المدينة المقدسة وشهدت طفولته الخرابات والزلازل والمحن على عائلته ومدينته ووطنه فحاصرته المآسي من كل جانب

معلق ١ : خدم في الجيش العراقي خلال حرب الخليج الأولى ١٩٩٠-١٩٩١ فحول الفجيعة الى قصائد ومشاعر مكتومة وكان صوته وهو يلقي شعره يشبه في نبراته صوت المؤذن وهو يدعو الناس الى الصلاة إذ تسكن فيه الفجائع والحروب والحياة العسكرية وموت والده المبكر وأخيرا غربته عما حوله..

معلق ٢ : في عام ١٩٩٣ كتب باسم فرات قصيدة شبّه فيها العراق بأنه أصبح أسوأ السجون في التاريخ على مدار ألف عام فقيل له ان حياته أمست في خطر فهرب الى الأردن بعد اقل من شهر على نشره القصيدة وهناك قدم طلبا للأمم المتحدة للحصول على صفة لاجئ فاختيرت له نيوزلندة وطنا بديلا .. وفي الطائرة بكي باسم فرات لان نيوزلندة بعيدة وهو لا يملك النقود للعودة إلى العراق .. وهكذا ابتدأت تغريبته الطويلة .

* * * *

يدخل الشاعر مضطربا كأنه مطارد .. يتوقف أمام منضدة ضيقة تجلس خلفها امرأة شابة وهناك لوحة خلفها مكتوب عليها :

سيدوري صاحبة الحدود

سيدوري : " تنظر الى الشاعر بدهشة " من أين قدومك أيها الغريب؟

الشاعر : " متهالكا على مقعد قريب ويتكلم بصوت متهدج كأنه يعترف" من حزن كربلاء ونواح الأمهات .. من ليالي القهر والألم العراقي المزمن

أنا قادم من مدينة المنائر والأعلام الخضر والجراح المتناسلة

سيدوري : " تدون المعلومات في سجل أمامها " فما هو وطنك ؟

الشاعر " ينهض بانكسار ويقف أمام سيدوري " كربلاء هي روحي ..

لكنني بلا وطن ، فالحروب ما زالت تلاحقني ، والشظايا سعالي المزمن،

بساطيل الحرس مسخت ذاكرتي .. كل ما في راحتي رماد

سيدوري : وماذا جئت تفعل وسط بحار الحدود ؟

الشاعر " يبتعد ثم يتوقف متخيلا انه أمام بحر هائج "

" مؤثر / صوت البحر "

الشاعر :أنا عبرت الحدود مصادفة وأروم ان اطويها في جيبي او تنثرني في كثبانها او أعاصيرها .. تحت لساني نهران يهدران ومواجع الخوف تتدلق من جيوبي لكني سأبادل الورود والقصائد بالشظايا

" يقترب من سيدوري ثم يهمس "

يا سيدوري يا صاحبة الحدود .. انا لم اقل وداعا للذين حولوا حياتي مستنقعا آهلا بالألم .. باركتهم ومضيت فأخشى ان يتبعوني

" يجلس على المقعد ثم يقول كأنه يخاطب نفسه "

هل عليّ ان اخلع قميصي المنكوب بالقذائف والوشايات والخسارات؟

هل اذهب لتعانقني سماوات ليست لي؟!

" ينتصب فجأة ويلوح بيده متوعدا سيدوري "

كلا يا سيدوري .. سأمخر عباب الحدود والحق بلهاث الفراتين في المدن القصية .. سأطاول الشمس لاستطيع مصافحة غربتي .. لن احرق جذوري ولن أكون وليمة شهية للأسماك .. سأحمل معي من الحروب تذكارا ومن البلاد جراحا ... وداعا سيدوري .

" يخرج الشاعر "

سيدوري : " تنظر الى المكان الذي خرج منه " اذهب أيها الغريب وجابه الحدود والمدن القصية .. ولكن وا أسفاه .. ما اقل أملك وما أكثر ألمك ! .

* * * *

" ينهض من بين الجمهور معلق / ١ "

معلق / ١ : " يطالع في كتاب زهير الجبوري عن الشاعر " غادر باسم فرات العراق الى الأردن عام ١٩٩٣ وعاش فيها أربعة أعوام ومنها الى نيوزلندا حيث أمضى ثمانية أعوام وكان يسعى إلى جنوب الجنوب وإذ وجد ان نيوزلندا هي أقصى الغرب وآخر بلد في العالم لذا صدم الشاعر لأنه لم يجد أمامه جنوبه من هنا تملكه الشوق والإحباط فظل ينشد:

لا جنوب ورائي لأصيح هنا بلادي

ولا جنوب أمامي فأتلمس منفذا إليه

أنا الجنوب المطلق

عّدتي تاريخ طويل من الانكسارات

" ينهض من بين الجمهور المعلق ٢ "

معلق / ٢ : " يقرا في كتاب وديع شامخ عن الشاعر " ولما اشتد حنينه الى الجنوب هجر الشاعر المنفى الأوربي ليتلقفه المنفى الآسيوي حيث قصد الشاعر بلاد اليابان وفي الطائرة التي أقلته الى منفاه الجديد سئل الشاعر عما يدفعه الى هذه التغريبات المستمرة بين الغرب والشرق فقال

بحزن كظيم :

هناك

تركت على خارطة الطفولة

براءة ثقبتها عفونة العسكر

ومن البيت سرقتني الثكنات

ورمتني الى المنفى

وفي مدينة هيروشيما كان يتوقف أمام فجيعتها الكونية ويقول

توعكت حروبا

فاسترحت بظلال مناف

* * * *

"يعود الشاعر للبقعة الفارغة حاملا حقيبته المفتوحة وقد انتفخت بحمولتها "

الشاعر : " يرمي الحقيبة على الأرض ويستند بظهره الى الحائط " لي أربعة دواوين .. اشد الهديل .. خريف المآذن .. هنا وهناك .. الى لغة الضوء نزفتها طوال غربتي فالشعر خلاصي الفردي والشعر عزائي الوحيد.. ولكن اواه ما اشد لوعتي وغربتي في هذا العالم فالعراق معي أينما ذهبت

" هنا تتعالى أصوات من داخل الحقيبة "

ص ١ : أنا انزف قصائدي

خارج شرايين الوطن

ص ٢ : هذه أشجاني

فيها العراق من رافديه الى رافديه

ص ٣ : ترافقني ساحة الحرمين الى ويلنغتون بنيوزلندة وفي عمان والقاهرة ودمشق كنت أتمشى في شارع العباس وباب القبلة ووجدت الشذر الأزرق والسندلوس والكهرب في أسواق سدني وما أكثر المسابح والعقيق في أزقة هيروشيما ، وأسرعت في لاوس للسلام على الحر ألرياحي والتبرك في نهر العلقمي والنهنهة طويلا عند باب السلالمة

ص ٤ : أشعاري تشهد أنني أسمعت العالم كله بعض رموزنا ومفردات أيامنا .. كربلائيلو / تل الزينبية / كف العباس / بابل / أور /الحجر الكربلائي / سدرة المنتهى /خمبابا وكلكامش / الطفوف وعشبة الخلود ..

" الشاعر يندفع الى الحقيبة ويغلقها بعنف "

الشاعر : " وقد صمتت الأصوات " يكفي مدحا وإطنابا فلست الا شاعر منفي امن ان الحقيقة هي من توجه حياته فلم أكن راضيا عن نفسي او مذعنا لقدري .. يقولون أني حققت صيتا وتجاوزت أحلام الشعراء ولكن ما اشد خيبتي وانطفاء لهفتي

رسمت جدولا وقلت

هذا نهر الحسينية

فتلصصت عليه المطارات

وحاولت ألف مرة ان أخبّئ الفرات

لكنني عانقته

فخر أزيز المدافع من قميصي

" يجثو الشاعر على قدميه محزونا "

" تخل سيدوري ومن خلفها الشرطي يحمل السجل ويفتحه ليدوّن فيه"

سيدوري : لماذا أنت حزين أيها الشاعر؟ .. حقّ عليك ان تفرح فقد طرت فوق العباب وجبت العالم من شرقه إلى غربه كسندباد شعري وعشاق الشعر يسعون خلف قصائدك بكل اللغات فماذا تبتغي أكثر من هذا ؟

الشاعر : " ينهض متثاقلا ويقف أمام سيدوري " يا سيدوري أتعلمين أي محنة ينوء تحتها الشاعر؟ في أوقات الصراعات على الشاعر أن يقول الحقيقة أكثر من سواه .. هكذا افهم دور الشاعر وكان علي ان افعل

" يدور حول الشرطي الذي يستمر بتسجيل كل ما ينطق به .. ويسرع الشاعر بالدوران وهو يقول بلهجة ذات مغزى "

الشاعر : إن الشاعر او الكاتب الذي يغمض عينيه عن رؤية المعاناة الإنسانية متورط في خيانة البشرية .. لقد قتل وعذّب وهجّر الملايين في بلدي ومن أسرتي أنا ذهب خمسون ضحية فإذا سكت ألا يعد هذا نوعا من أنواع الخيانة ؟!

" يجثو الشاعر وهو يحيط رأسه بيديه فيقوم الشرطي بالإسراع بالكتابة"

سيدوري : " تجثو الى جانبه وتحاول التخفيف عنه " رويدك ولا تقسو على نفسك فقد أعلمت الرياح وأريت الجبال حجم معاناتك ومحن شعبك فماذا بوسعك ان تفعل سوى هذا؟

الشاعر :" يهز رأسه أسفا وعجزا " يا سيدوري أنت لا ترين ما أرى

أرى دمي يتدحرج بين الحدود

أتوسل بالكلمات ان تجمعه على الورق

" ينهض مبتعدا عن سيدوري لكنه يرد عليها بغضب "

لا قيمة لكل ما نحققه ان لم يصمد أمام التاريخ .. لقد فزت بالشعر والشهرة وذكر العالم ولكنني تركت هناك بلد الملايين : مليون شاعر ومليون أرملة ومليون قتيل ومليون يتيم وعشرين مليون نخلة مقطوعة فكيف تريدينني ان افرح ونحن أبناء فجيعة تتناسل؟!.

" الشرطي يقطع كتابته ويقف مبهوتا وهو لا يدرك ما قصده الشاعر "

سيدوري :" وهي تقترب ثانية من الشاعر" ولكن ما الذي يوجب حزنك ؟

الشاعر " يستدير بسرعة ويواجهها بعبارات عصبية " يوم عبرت الحدود قبل ثمانية عشر عاما سألت نفسي : هل يمكن ان أودع معاناتي واستلابي وخرابي عند الحدود ثم انطلق نحو العالم الجديد؟ واليوم أرى الجواب في ماض يسوّس ذكرياتي بضحايا العنف والمجازر وتفزعني صور الاستبداد وفجائع الحروب وليل السواتر والسجون والرعب..

" يبتعد عنها بضع خطوات ثم يعود مغيرا نبرته "

الشاعر : ماذا افعل يا سيدوري ووطني إما ثكنة عسكرية او زنزانة مظلمة او مقبرة جماعية ؟!

" هنا يتوقف كأنه توصل الى موقف جديد فيه خلاصه "

اسمعي يا سيدوري لقد انتويت أمرا .. سأعود .. نعم سأعود فهناك أمي وباب السلالمة وكربلاء عاصمة الدموع !.

" الشاعر يسرع خارجا"

إظلام

ذهبت إلى الحرب

قوباد حليزادة

روحي ملأى بفراشات مغتالة
حقيبة ظهري مترعة بالأرامل
غارقة زمزميتي بعيون مفقأة
ذهبت إلى الحرب
كان يطلعه الناس
متخذا من صخرة متراسا
حاصرناه: رفع يديه
تسليم تسليم تسليم
لكننا أفعمنا بالرصاص فمه
حظي هو بعلبة سجائره وولاعته
ذاك أخذ مسبحته ويشماغه
نلت أنا
جيبه الملطخ باليتامى
ذهبت إلى الحرب
في خندق من خنادق "العدو"
جثة دافئة
لي رمانته
"للثورة" بندقيته
زوجته لفلان...
ابنته لـ..
وللكلاب السائبة حلمه ولحمه
جرتني بندقيتي كثور هائج
إلى الحرب
رميت يمينا ويسارا
قتلت الماء والهواء والنار
قتلت الجرذ والسنجاب
قتلت المطر والسحاب
قتلت الضفاف واللبلاب
قتلت الحجر والتراب
قتلت الانوثة والرجولة
قتلت الفتوة والطفولة
قتلت الخيل والنخيل
قتلت الخرير والهديل
قتلت الشمعة والقنديل
قتلت هابيل وقابيل
قتلت القتيل
قتلت حتى زعل مني عزرائيل
قتلت ثم قتلت
قتلت وما ارتويت
قتلت ولحرب غد نويت
قبل أن أذهب إلى الحرب
كادت كتفي تحتك وكتف فتى
فقلت له:
عفوك يا أخي

قبل أن أقصد الحرب
التمست زوجتي ليلا
ان اهجرها
كي تصدح في الغد
"تأمرين يا عزيزتي"
قلت لراكب كان جالسا بجنبي:
أتسمح لي أن أشعل سيجارتي
قلت لها وكانت تسير امامي :
سحاب تنورتك مفتوح يا مقلتي

قبل أن أقصد الحرب
قلت لبعير وهو يشرع في عبور الشارع
مبلل بضجيج الموت
خذ يدي كي أغذي عكازتك بالنور
قبل أن اذهب إلى الحرب
قلت لنادل ناد:
لو سمحت هات
قارورة خيال
وحفنة من الزيتون
قبل أن اقصد الحرب
قلت لعجوز ثكلى

انضمي إلى مظلتي لئلا تبتل
جدائلك البيض برذاذ اليأس
قبل أن أذهب إلى الحرب
حزنت لدجاجة عانس
نسيت كيف تبيض، تحت إبط صاحبها
كل صباح
بكيت لنمل، قد ضل بيت الحبيبة
بين تلال البعرور
قبل أن أذهب إلى الحرب
شممت القطة عطشى
ان تحظر بلسانه المالح

لي راحة يدي الرطبة
بئرا من ماء زمزم
قبل أن أقصد الحرب
صوت للمرأة
(افعمت) صناديق الاقتراع بابتسامات النساء
قلت لفراشة عروس عائدة لتوها
من الحمام
كم الساعة الآن؟
فاحمرت اجنحتها خجلا وقالت:
لم تبق إلا
دقيقتان إلى السلاح..

ظلال المدارات

عمار علي كاصد

لم تكن تحلم
او تبكي
هو العمرُ
في وهج الحقيقة – الضياء
يرحل
وأنت الموزع
بين الباب
والغرف التي احتوتك
صامتة هي الغرف ..
في خبايا الوجوه الأليفة
تبحث عن حيَّة
رمل تؤويك
تقولُ الصحراء
فيعشب في كفيك العاقول
يبيض شعرك
وينحني ظهرك للمسافات
وأنت ملقى بين نوافذ البيت القديم
ومدارات العمر الذي
يرحل فيك
لم يبق في خلاياك لو تحسست
سوى ندى الفصول
التي غادرت
وضجيج المقاهي
وأماسي الشتاء العريقة
وظل امرأة

كانت تؤويك
تشاطرك الليل
" وهمس الفانوس الراعش في السقف "
وإناؤك خال كل صباح
مهزومة غادرتك
في يدها زهرة ريح
وأنت في ظل الرماد
ترقد ، في الزوايا الخبيئة
في ظلك المستريب
تتخاطر في ذهنك
كل الأشياء
وترحل
عن ذهنك كل الأشياء
وتصغي لوقع خطى الرمل
وزهرة دفل تنبت في كفيك ..
للضفاف التي ابتكرت
صواني الآس
والشمعدان
والعباءات مكومة في الظلال
تنهض
" قليلة "
هي الخطوات ..
لم تصل بعد
فالمدى موحش
وظلالك أدمنت
خوفها .

دعه.. ينتظر المطر

إلى محمود عبدالوهاب
قاصاً مبدعاً...

عبد الرزاق صالح

دائماً أقولُ: دَعْهُ ينتظرُ المطرَ
فهل هناك فائدةٌ من الانتظار؟
دَعْهُ يشقى
دَعْهُ يخشى أو يخشعُ
دَعْهُ يحيا أو يموت
ودائماً دَعْهُ يقلقُ
ما فائدةُ الوقت بلا قلقٍ ؟
أنَّهُ موتٌ صموت
الريحُ تحتهُ
لا يستطيعُ أنْ ينظرَ للشمسِ
أو الموت
ينظرُ في المرآة
يرى غريباً
يشكُ في وجودهِ
أنَّهُ قبضُ ريح
هل تساوى وجودهُ والعدم؟
ما بالهُ لا يستفيقُ من الندم؟
ما بالهُ لا يستريح؟
تائهٌ في هجيرِ الذات
كالمستجيرِ من الرمضاءِ بالنارِ

دَعْهُ ينتظرُ المثولَ
في حضرة الألم!
دَعْهُ في صحبةِ الضجر!
دَعْ لهُ ما يشاء من الصحوِ
دَعْهُ في سريرِ الأرض
فوقَ الأرض
لا تحتَ الثرى
أما نوعُ الأغطيةِ
والوسائد
فَدَعْ لهُ ما يشاءُ
ما بالكَ لا تستجيب للنداءِ؟

أنسيتَ أنَّكَ ظلّهُ؟
أمْ تراكَ في سكرةِ الوسنِ؟
لا تستفيق!
أرى كلَّ الغيوم فوقَ رأسه الفضي
والنجوم سافرَتْ عن أرضِه الثكلى
الدموعُ في عينيه دماءُ
الضياءُ تلاشى
أشفقْ عليه أيُّها الظَّلُّ النَّدي
دَعْهُ يطيرُ على جناحِ الرغبةِ

دَعِ الفراشات تُداعبُ لحيتَهُ الكثةَ
دَعْها ترقصُ في محرابه
مالي أراكَ كالحجرِ المُسَنِ
فوق ضلوعه
دَعْ قلبَهُ ينبضُ بالحنين
دَعْهُ كالشجرة
ينتظرُ ... المطر
أو .....

البصرة
18**تموز** 2010 م

قصائد من الشعر الانكليزي

ترجمة :سليم محمد عيدان

إن لليل ألف عين

للشاعر فرانسيس وليم بردليون

إن لليل ألف عين،
وما النهار سوى واحدة
ولكن ضوء العالم في هذا الكون المتألق
يخبو إذا ماغابت الشمس
إن للفكر ألف عين
وما الفؤاد سوى واحدة
ولكن ضوء الحياة كله يخبو
إذا ما غربت شمس الحب .

تأهب

للشاعر أدوين ماركهام

تيقظ وتأهب لكل أيامك
وقابلها جميعاً المقابلة نفسها
حين تكون السندان .. تحمَّل
وحين تكون المطرقة .. اضرب

لن أبالي

للشاعرة سارة تيسديل

يوم أموت ويهز نيسان الوضيء فوقي
شعرهُ المثقل بالأمطار ..
ان انحنيت أنت على قبري
كسير القلب
فأنا لن أبالي .. سأحظى بالطمأنينة
فهي تملأ الشجر الوريق ..
وسأكون أطول صمتاً
وأبرد قلباً في يومك هذا .

القصائد مترجمة من كتاب كنوز الشعر الانكليزي / طبعة لندن 1972

سمفونية الأزرق

سلمان الجبوري

يعجنك الارق المر وانت تجوس
بأولى خطوات فراديس النوم
او ترفل في اولى احلام خضر
إذ تغلق ذاكرة النسيان
آه من شللٍ دمّر كل خلاياك المبهجة
وقّطع كل حبال اراجيح الاحلام
اهلا بالفرح الغامر إذ تدهمك
خطوات الحرف الهارب
في ظلمات سراديب الاحزان
إذ تطفح نشوتك البكر فترسمها
زاهية الالوان
او تتسلق سارية البهجة
تنشر الوية الالق النشوان
– ماذا يولد فيك الساعة؟
– لا ادري..!
لا تدري؟
لكن طوفان من برقٍ
والوفاً من بيض
وصفر
وحمر الانجم
فسفوراً يلهث ثم يموت
يتوالد ثانيةً
يضرب اعماقك
فترى فيها اشكالاً لم تألفها من قبل
عوالم
وحروفاً
تتراقص من الوان لم ترها
تتشكل ثانية
عاشرةً
مليوناً
فتكون كلمات مبهمة
ما مرت في ذهنك يوماً
تكتبها؛
فتحسُّ هدوءاً تعجب من ملمسه
وتدفقه
وهلام الاشكال به
××××
من عشرات الاعوام
لم تالف بهجتك البكر
تراقص الوانٍ لم ترها من قبل
اتجيئك ثانيةً؟
استعرفها؟
استطرق ابواب مدائنها السحرية؟
يا ليت
××××
من قال بأن الماء
لا لون له من بين جميع الاشياء؟
اول ما شُكّل في ذاكرتي الفضة
لون الماء
حين غرقت صغيراً
وفتحت عيوني في الماء
وانا ألبط في الرحلة للقاع
كان عجيباً لون الماء
للآن تمد اصابعها الالوان
طبعت برثنها في ذاكرتي
كانت تتراقص.. فالآن
من ستين واكثر
يومض في ذاكرتي
من بين جميع الالوان
لون الماء
لون اذكره لكني لا اعرف إسماً
يمكن ان يتوشحه في الاسماء
××××
للظلمة الوان
هل جربت ان تغمض عينيك بقوة
فترى آلاف شظايا شررٍ يومض
ثم يطير
اشكالاً
اشباحاً
تخلق ثم تموت؟
هل جربت؟
ان تنصت للصمت وحيداً في الظلمة؟
سيكون ضجيج الصمت اشد من الرعد
وتكون هنالك دوامات
وعواصف
وغصون تتقصف
تتلاطم اذرعها
هل جربت؟
ما تدركه الاعين والابصار
يبصره حتى من كان بلا عينين
لكن..
ما لا تدركه الابصار
غير الله
لا يدركه إلا بحر يتلاطم في الرأس
وآبار تمتد سحيقاً في الاعماق
او ظن
او حدس لا يخطىء!
××××
اللحظة
إن تقرأني
او تسمعني
جس بكفك
خدك
صدرك
وذراعيك
وتأكد من انك حي!!
وقل الحمد
واقرأ شعري
ثانية.. من اول بيت!!

تكويرة الوردة قبل انبثاقها..

هاتف الجنابي

المسافات قد تقطعها قدم او طائر
او التماعة المنجل ملقى على الكتف اليمنى
للملاك الملثم بالسواد
الربيع آت قبل انبثاقها
ولا من خطى العجوز مستندا على عكاز الخريف
تخيلوا انني امسك بالحرمل والكافور معاً
بإكليل زهرٍ وبذلة سوداء
امد يدي مصافحاً هذا وذاك
وفي غفلة ما، اشك دبوس ما بعد الحياة
في قلب الفريسة.
تخيلوا ان المسافة التي كانت فنارها الرؤى
في غفوة الليل وخفقة الغبش
صارت خطاها حطباً
في موقد الغريب
الحجارة الخرساء يمكن ان تظل صامتة
حتى آخر قطرة ماء
بعدها،
تختفي المسافة،
بينما النقيض
حينها يصبح الصمت اكثر الاشياء سطوة
حتى الطبل فيه يعثر.
اردت ان اقطع المسافة الصغيرة والكبيرة
بالأثر نفسه
لكن المنظر هالني،
حينما اردت ان ادوّن الشيء الوحيد المنجز في
حياتي:
نظرت..
فالفيت القطرة. تلو القطرة من دمي
تساقط خلفي
فوق الرمل،
والريح تمحو الاثر.

جزر عالقة

جالساً،
خلفي حائط تحته الايام
في شباك العيون،
تكبر الشجيرات، والنمل منهمكا يبدو
في حبك متاهاته
والمناقير في اعشاشها تستند،
غير ان السماء ما فتئت تحوك وشيعة الغياب
جرح الطبيعة فاغر
تمسُّه الريح ويرفوه الاثر
دخلت زوجتي فجأة تدمدم
الذباب أتى مبكراً
والجو مناسب كي تشذب الحديقة
استرسل طويلاً
كنت اهز رأسي وانا غارق
حيث الخيال يلحس السحاب.
لمحت بعض الغصون ذابلة
والطحالب تلتهم المناظر عاماً بعد عام
والربيع متعثراً يجيء..
ولا تنم، تقول زوجتي
ما تراه مشهد مكرر
في زمن يغرب.
كان الوقت صباحاً
اليوم هو الاحد
والغيوم بالسماء
جزر معلقة

سيعوي الليلة ثعلب

إلى محمود عبدالوهاب

عبد الله حسين جلاب

على تابوتك العابر
بجناحيه
فوق الأثل المغبرّ
طاقات الورد !
وفي حدبة
من حدبات الرمل
في جرف طريق
ودّعناه بين بردين :
برد السماء
وبرد الرمل !
فاختة تهبط
في حدبة رملك :
تنقر كفنك...
وتزقّك قطرة الناعور !
برهامة فرعاء
تؤرجح بضفيرتيها
على شطّ العرب
صورتك !
أتذكر المراكب :
تطلق من أفواهها
قزح الأعياد ؟
رصيف الساحل :
على هدأته الخضراء
تين البحر ؟
شارع الساحل :
يتعانق بالأشجار
جرفاه ؟
النواقيس تدقّ ؛ تدقّ...
لتعلن منتصف البحر ؟
الشراع المبحر
في شرق الموج
بقلبين ؟
سيعوي الليلة
من مكمنه
ثعلبٌ...
فتأوي الى حدباتها
الشواهد !
ينام الحنظل
الأثل المغبرّ
والهدهد
تنام العقرب
والأفعى
قطيع النباح
النعيب الطويل
الخفّاش
والبوم !
ينام تحت أثله
القشّ
غبار الرمل
وبين فكّيّ البوّابة
القفل !
ينام الموتى :
العجوز
اليافع
والطفل !
تنام في موقدها
النار...
والفانوس ينام !
على حدبة رملك
جمجمة تخطو
بقصبتين...
تتطافر حيالها
أقفاص الأضلاع
والأشباح !
الشمعة وحدها
تحرس بدمعاتها
وحشتك !
ووحده يبدأ رحلته
من عينيك...
ليصبح
الأجمل والأهذب
الدود !

متحف الإغتراب للتشكيل العراقي

حلمٌ جميل ينتظر من يتبناه

محسن الذهبي *

منذ فجر التاريخ.. ومنذ رسم الانسان العراقي الاول أول حرف وهو يبدع ويرسم وينحت ليشكل اساسا للحضارة الانسانية حتى غدا منارة للابداع ...لكن العقود الاخيرة شكلت انتكاسة للواقع التشكيلي العراقي ، اذ هجرت افواج من فنانين الوطن الى المنافي ولاسباب متعدده .لتقيم في مختلف بلدان العالم وهي تعمل وتنتج وتؤسس لاساليب ورؤى مستحدثه مستفيده من الواقع الاغترابي ومساهمة بشكل فاعل في مسيرة الحركة الفنية العالمية ،ولاتساع رقعة الاغتراب وكثرة الاسماء المبدعه وتقادم السنوات مما اضاع الكثير من ارشيفهم الفني وخلق فجوة غياب واضحة بين تلك الاسماء المبدعة والمتلقي في الداخل بل و حتى لدارسي الفن والمهتمين بالثقافة والفن . مما جعلنا نتساءل عن امكانية قيام متحف في الوطن يؤرخ ويؤرشف لابداع هذا الارث الكبير .

حملنا هذا التساؤل الى عدد من المثقفين والتشكيليين في الوطن وفي دول الاغتراب ورصدنا انطباعاتهم واقتراحاتهم بشأن اقامة متحف متخصص لابداع التشكيلي العراقي . إبتدأنا من هولندا مغترب الفنان التشكيلي العراقي ستار كاووش فقال:-

المسألة برأيي هي أن المتاحف في العراق تعد على الأصابع ، فهل يعقل أنه لا يوجد متحف لجواد سليم أو فائق حسن !! أو متحف يضم مختارات من الأعمال التي قدمها أهم الطلبة أثناء دراستهم في أكاديمية الفنون. فكرة جميلة وهائلة أن يقام متحف للفنانين الذين أنتجوا أعمالهم خارج العراق لتطلع عليها الأجيال الجديدة كي لا تكون هناك قطيعه ، ليس هذا فقط بل يجب أن تكون هناك العشرات من المتاحف ومراكز الفنون بشكل عام . أنظر ، في هولندا مثلا هذا البلد الصغير (اصغر من العراق ب 12 مرة) يوجد 900 متحف إضافة الى الصحف والمجلات والبرامج التلفزيونية المتخصصة ، هذا وحده يعطينا تصورا عن مأساة الفن في العراق. لقد إكتسب الفنانون العراقيون الذين عاشوا سنوات طويلة في الخارج خبرات جديدة ومختلفة ، وتصورهم حول الفن أخذ بالإنفتاح أكثر من السابق وهذا بإمكانه أن يشكل خطوة إضافية للفن العراقي نحو إنعطافة جديدة ، مثلما حدث في نيويورك في الأربعينيات حين لجأ إليها أيام الحرب العالمية الثانية مجموعة من أهم فناني أوروبا مثل شاغال وموندريان وماكس أرنست وآخرين ، وأحدثوا تاثيرا هائلا في تغيير الذائقة هناك وتأسيس محطة مهمة للفن في نيويورك وبتأثيرهم ظهرت مدرسة نيويورك . حتى فان غوغ كان من المستحيل أن يحقق ما حققه في الفن دون زيارته الى باريس والعيش في أجوائها وبين فنانيها ومتاحفها .والمسألة برأيي ليست في إقامة متحف وإنتهى الموضوع ، يجب أن تتغير نظرة الإنسان للفن ، أن تكون الدولة قادرة على إستيعاب أن الفن أو الإبداع والثقافة بشكل عام هي أساس تطور المجتمع وهي المقياس الحقيقي للإزدهار . يجب أن نبني إنساناً قادراً على فهم دور الفن ويقدر ذلك بشكل حقيقي . بعد أحداث 2003 من ضمن الأشياء التي سرقت هي لوحات المتاحف . تصور بعد التسونامي الرهيب الذي ضرب اليابان ، تشردت أعداد هائلة من الناس بدون مأوى أو طعام أو حتى ملابس كافية ورغم ذلك لم يظهر لص واحد ،هذا التكافل الإجتماعي المثالي لو كان موجود عندنا لإزدهرت الحياة ومن ضمن إزدهار الحياة تظهر المتاحف بشكل طبيعي مثل الزهور . المتحف ليس بناية فقط وبضعة أشخاص ، بل هناك ثقافة وتقاليد وتواصل مع آخر ما يحدث من مستجدات في متاحف العالم وإقامة معارض وطبع كتب وكتلوكات . البنايات موجودة والأعمال الفنية كثيرة ومتنوعة والفنانون أيضا ، لكن كيف نصنع من هذه العجينة خبزا لذيذا ؟ هذا هو السؤال؟؟؟.

الواقع الأغترابي خلق فجوة تتطلب ردمها بالتواصل

وناقشنا الموضوع مع الفنانة فريال الاعظمي المقيمة في البحرين فقالت :

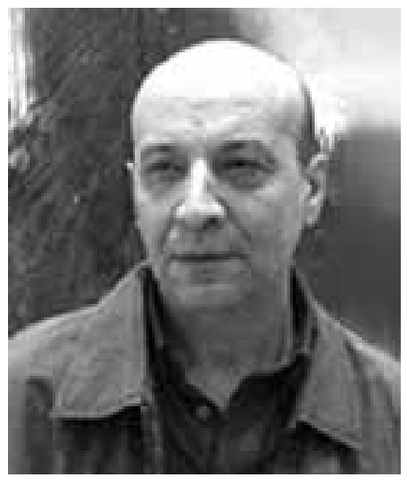

لنفرض ان هذا المشروع حلم، ومشروع بهذا المستوى يحتاج الى تنظيم يبدآ بتكوين لجنة تأسيسية تأخذ على عاتقها تطوير الفكرة ، من فكرة الى مشروع ، واللجنة تتكون من اشخاص لهم الرغبة في التطوير مع القدرة على التحمل والسفر واللجنة التأسيسية تقوم بوضع الاطار القانوني لعملها- كمؤسسة خيرية – ذات اهداف اجتماعية ثقافية فنية ، ويحدد مكان وجودها وتسجيلها بشرط في مكان ذي سمعة عاليه كبريطانيا حيث تخضع اعمال اللجنه للمراقبه الرسميه يشمل الاطار القانوني والاهداف المرسومه . بذلك نكون قد اعددنا مؤسسة معروفة محترمة من اشخاص معروفين مسجلة رسمياً ، تقوم بجمع الاموال والتبرعات من شتى انحاء العالم من خلال اقامة حفلات وعشوات ومحاضرات ومزادات وغير ذلك من النشاطات الخيريه.خلال هذا الوقت نبدأ بالمكان والموقع، وياحبذا لو كان بيتاً آثرياً قديماً من فترة الثلاثينيات والمطلة على دجلة والمحصورة بين الاعظمية والچادرية نقوم بترميم هذا القصر على الطريقة الحديثه .

او ليكن في مدينة البصرة مثلا حيث الاعمار بدآ يزدهر حالياً وفي تطور هناك اذ يمكن بالتعاون مع مستشارين من المتحف البريطاني في لندن، إذ يتم تمويل المتاحف بواسطة مؤسسات اجنبية وتبرعات جهات خارجية واعتقد ان تخصيص احد قصور صدام والمطلة على شط العرب في البصرة مكان مناسب لذلك.

الدكتور الفنان صبيح كلش والمغترب من سنوات في سلطنة عمان قال :...انها مبادرة رائعة وانا أول المتبرعين باكثر من عمل لمثل هذا المشروع الحضاري واتمنى من القائمين في وزارة الثقافة الأخذ بهذا المشروع ، وأقترح أن يدعى الى اقامة معرض خاص بأقرب وقت للفن المغترب العراقي، وتقبل فقط الأعمال المهداة و لوزارة الثقافة ان تمهد لذلك بدعوة المشاركين لبغداد من يريد أن يحضر منهم وتشكل لجنة من الفنانين والمتخصصين من الداخل والخارج لتنظيم هذه التظاهرة.

فيما اجابت الفنانة (سوسن سلمان)والمقيمة قي الدنمارك بان :

الاقتراح باقامة متحف للفن العراقي في المهجر هو اقتراح في غاية الاهمية وهذا المقترح يرفع لوزارة الثقافة لانه من صلب اختصاصها ونخشى اذا ترك للمبادرات الفردية ان يموت ولايجد التمويل الكافي لانشائه ويمكن للمتحف في حالة قيامه ان يوجد معارض فنية في اكثر من بقعة في العالم تكون الرئيسية في لندن او باريس واخرى في احدى الدول العربية وثالثة في دولة اسيوية ورابعة في شمال افريقيا وهكذا نؤيد المقترح وبقوة وقد اتصلت بالامين العام لجمعية الفنانين العراقيين في بغداد وتكلمت مع الدكتور حسام وأيد المقترح وقال انا معكم لكن اشار الى نقطة مهمة بان الوقت الحالي لا يجدي بذلك لان المقيمين على وزارة الثقافة ليسوا بمستوى طموحنا ومع ذلك انا معكم لاي نشاط ومقترح تقومون به ..وأكدت بالقول :- انا عن نفسي وعن والدي الفنان الرائد عبد الجبار سلمان مستعدان لاي خدمة تسديها لهذا المشروع الكبير والمهم وعن الادارة فاقترح تكون من الداخل ومن الخارج ايضا مثلا من الخارج من لندن على سبيل المثال كحلقة وصل وننشر المقترح بعد استحصال الموافقات..

اما الدكتور الفنان وليد شيت والاستاذ في كلية الفنون الجميلة ببغداد فكان متشائما من النتائج بشكل ملفت رغم اعترافه باهمية الفكرة ، فقد قال :

...ياأخي الفكرة وغيرها من الأفكار كثيرة... وفي رأسي ماهو أشمل ومهم جدا خاصة للفن التشكيلي العراقي الذي يستحق كل الخير والأعتزاز وعلى مستوى عالمي... لكن أسمح لي أن أقول عرب (نحن) وبن وطنبورة (من هو في موقع المسؤولية) وين ... لقد أبتلي العراق بكوارث بدل من كارثة.. لقد سرق وبيع... للأسف الشديد... واننا لمغلوبون على أمرنا شئنا أم أبينا...

أما الناقد والفنان (قاسم العزاوي) سكرتير تحرير مجلة تشكيل العراقية فهو يرى : ان واحدة من اولى الاسباب التي تضغط على المبدعين بكل تمفصلاتهم الثقافية من ادب وفن وفلسفة واجتماع .هي:كم الافواه ومصادرة الحريات وتكبيل المنجز الثقافي بقيود ومقاسات محددة ....لهذه الاسباب ولغيرها هاجر الكثير من المشتغلين في الحقل الثقافي ومنهم من اشتغل بالفن التشكيلي من رسم ونحت وخزف .... وتوزعوا في بلاد الله الو اسعة وتوزعت اعمالهم هي الاخرى في هذه البلدان....وجربوا العديد من الاساليب والرؤى الفنيه بما يتساوق مع القفزات السريعة والمتنامية للفن التشكيلي . ولكن هل احتفظوا هؤلاء الفنانين بمنجزهم البصري و بالتالي سوف يوثق ويؤرخ تاريخهم الفني ليكون مصدرا يفيد الدارسين.. لهذا كان لزاما على المؤسسات الثقافية الرسمية في بلدان الفنانين الذين هاجروا ان يقام لهم امكنة تجمع منجزهم ويحافظ عليه من الضياع والتلف والتبعثر ..وليطلق عليه اسم متحف الاغتراب او عش الغراب..!المهم هو ان يكون متحف يلم به التحف الفنية للفنانين المغتربين..

وحين سالنا الدكتوره (عالية التميمي) المقيمة في اميركا – فرجينيا قالت : الموضوع المطروح راقٍ ويستحق التوقف عنده...واتخاذ مايلزم بشانه...لو كانت هناك نيات صادقة لدى المسؤولين..وانا اشك في ذلك وللاسف...لان هؤلاء حتى لا يقدروا ما هو الفن...بل هم ضد كل ما هو جميل ومفعم بالحياة والحب...ولكن يبقى الامل في جهود الخيرين من ابناء هذا الوطن ... وعلى فناني الداخل السعي لتحقيق هذا الهدف...وخلق اجواء التفاعل الروحي والمادي بين الفنان المغترب وزميله في الداخل...كي لا تبقى الفجوة شاسعة بين الاثنين..نحن مع هذا المشروع وبكل قوة..

ومن بغداد سالنا الشاعر (مهدي القريشي) عن جدوى هذا المقترح فقال : – هي دعوة صادقة ربما تحرك المياه الراكده في وسطنا التشكيلي والثقافي العراقي عموما وتخلق اجواء من التفاعل بين المنتج المبدع ان كان اديب او فنان وبين المتلقي العراقي ومثل هذه المتاحف هي وعاء للاضاءه وخلق وعي جمالي نحن بامس الحاجه اليه في وقتنا الحالي ان كنا نريد ان نبني أنسان متنور .واتمنى ان يكون ذلك ذلك باختيار احد قصور صدام المقبور ردا للجميل لاؤلئك الذي شردهم النظام من مبدعينا .

ومن هولندا سألنا الفنان التشكيلي (فاضل نعمة) فاجاب بالقول :- اذا كان الامر يعنيني؟ فاعتقد انه اقتراح جيد ،ولكننا نعرف ظروف البلد الان وهناك حساسية واضحة تجاه ثقافة (الخارج والداخل)مع الاسف ونعرف من اوجدها؟ اعتقد علينا ان نثقف ونهيء لفكرة الفن في الخارج اولا ،نحن هنا ايضا نعاني من الكثير من سياسة الاختلاف ؟رغم انه شيء طبيعي على ما اعتقد؛ لهذا نحتاج الى من يجمعنا، منظمة او جمعية لمحترفي الفن فقط والمتفرغين له، ننظم لانفسنا معرضا مهما في مكان مهم في بلد من بلدان الشتات التي نعيش ، بعدها نفكر ممكن ان نعمل معرضا جماعيا للفن العراقي من فناني الداخل والخارج ؟؟ وهناك الكثير من المتاحف في اوربا ترغب بذلك، حسب علمي، من هذا ننطلق لفكرتك التي ارى انها رائعة ومهمة ،ونكون نحن وزملاؤنا في الوطن من يقترح مكان المتحف ونظامه الداخلي وطريقة وشروط العرض فيه .

وحين سالنا الاديبة والشاعرة العراقية دلال جويعد المغتربة في بريطانيا فاجابت :- ...اعتقد ان فكرة وجود متحف لفن الاغتراب العراقي مهمة جدا لتسليط الضوء على التجربة العراقية الفنية في الشتات....فعلى مدى عقودعدة كان الهروب من جحيم الوطن أمرا واقعا لعدد كبير من العراقيين خاصة شرائح المثقفين والادباء والفنانين والعلماء. وفي مجال الفن نجد أن اسماء فنية مهمة بدأت صياغة تجربتها بطريقة جديدة نتيجة التلاقح الثقافي مع البلدان التي احتضنتهم مع بقاء البصمة العراقية الواضحة ما يعني وجود خطوط عدة واساليب تشكيلية عراقية تتنوع بتنوع الثقافات المختلفة التي تفاعل معها الفنانون... والسؤال الذي يبدو ملحا أمام تلك الفكرة هو إلى اي مدى يمكن أن تدخل الفكرة حيز التنفيذ ويمكن أن نجدها حية على ارض الواقع، إذ أن تنفيذها وفق رؤية واضحة واهداف محددة وحيادية مطلقة يمكن أن يجعل منها انجازا مهما في توثيق الحركة الفنية في العراق وتسليط الضوء عليها والحفاظ على الاعمال الفنية واسماء اصحابها من الاندثار والنسيان في زحمة الأوضاع المتقلبة في تاريخ العراق الحديث .

الفنانة العراقية المعروفة(عفيفة لعيبي) والمقيمة في لندن ايضا ...قالت : انها فكرة تشغل بالي من فترة طويلة لكنها تحتاج الى تفرغ وقدرة مالية وهذا ما ينقص معظمنا ولكني شخصيا اجدها فكرة يجب ان تتحقق لأن لدينا في كل دول العالم تقريبا وفي اوربا بالذات الكثير من الفنانين المبدعين والذي يجب ان توثق اعمالهم وحياتهم وان نحتفظ بانتاجهم لأنه يمثل نقطة الضوء الاوسع سطوعا في مجمل الحركة التشكيلية العراقية.

ومن بغداد ومن رحم الفن كلية الفنون الجميلة سالنا الاستاذ الدكتور بلاسم محمد عن رأيه بهذا المقترح فأجاب : -.... ليس في الامر تقسيما لمغترب ام حاضر .نحن لم نؤرشف تاريخنا باجمعه .وكذلك المكان اعتقد انه ليس مشكلة عندنا متاحف كثيرة كمركز الفنون مثلا .المشكلة في الانسان .وفي ادارة عملية معاصرة .وفي التوثيق والرعاية والمتابعة .تصور ممكن لعدد محدود وبجهد بسيط لملمة كل هذا الشتات الفني؟ ...ان يكون ارشيفا احصائيا اولا وتبدا حملة الاستدعاء.

ان الامكنة الخاوية التي نمتلكها هي موجودة بالفعل لكنها تستعير سياق التخلف والامية الادارية وعدم الدراية فيما وصل اليه العالم في الاتصال والمثاقفة ،الامر الاهم هو ان نؤسس لثقافة التاريخ والتلقي والسؤال من يسمع وما هي الوسائط.؟؟

مرة اجرينا اعادة تقييم للانتاج الفني للطلبة منذ تأسيس كلية الفنون وقبلها معهد الفنون الى الان ...وكان السؤال اين انتاج هاتين المؤسستين اللتين خرج منهما اجيال من الفنانين كان الامر الواقع يشير الى اننا لانمتلك شيئا ،نعمل بطريقة قروية وتحت مفاهيم سياحية في الادارة .اعتقد ان المجال الفني ومجاوراته وسياقه بحاجة الى اهتزاز بنيوي ليس على مستوى الادارة وحسب بل على مستوى القدرة على بناء ثقافة الفن نفسه واعادة النظر بالمجال العام وفي كيفية اعادة انتاج لمجاورات الفن نفسه .تلك بعض المشكلات التي جعلت من الفنانين يبنون انفسهم فرادا ،ويغادرون المنطقة التي وجدوا فيها فالفنان بالتالي انسان يريد ان يجد مأوى فنياً وحياتياً لايكفي بعد عمل اقتراحات من جانبنا في القيام بتظاهرة لاتتوفر لها عوامل الديمومة .لنأخذ مثلا قاعات العرض المنتشرة في بغداد ،انها تتوفر على اكثر من ثلاثين قاعة عرض ..الامكنة ثابتة لكنها بلا رواد ؟ مافائدة المتاحف اذن ؟ واذا كان ممكنا تنظيم عوامل الجذب فلا بد من توفير ثقافة جديدة للتلقي والاقتناء وقبلها استدعاء الفن نفسه الذي غاب خلف الواجهات الاكثر عدة وعدداً كالسياسة ونهب المال العام وهنا علينا الخشية ليس من هجرة الفنانين ولكن من هجرة الفن والى الابد.

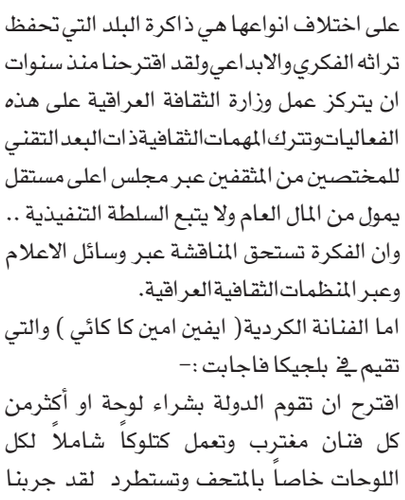

فيما اجاب الدكتور رعد كوران عميد كلية الاداب جامعة واسط عن تساؤلاتنا بالقول :- ... يبدو لي ان التأسيس يجب أن ينطلق من الجامعات للتعريف بهذا الفن أكاديمياً لأننا نعلم ان المعرض الدائم في بغداد مثلا يزوره عدد من المهتمين ولن يتمكن اغلب ابناء العراق من زيارته بسبب الكثير من المعيقات ، ولو تبنت جامعاتنا ال 19 هذا المقترح لوصلت الفكرة الى شريحة مهمة في مجتمعنا ونحن في الكوت (جامعة واسط) مدينة رائد التشكيل العراقي الواسطي مستعدون لاستضافة معارض من هذا النوع مع التعريف بالفنانين المغتربين وليكن هذا من باب التجريب وجس النبض لكي نفكر بجد بدعم هذا المشروع..

ومن البصرة الفيحاء استطلعنا رأي الناقد التشكيلي والفنان البصري خالد خضير الصالحي فقال..

المتاحف والمكتبات الوطنية والسجلات والمدونات على اختلاف انواعها هي ذاكرة البلد التي تحفظ تراثه الفكري والابداعي ولقد اقترحنا منذ سنوات ان يتركز عمل وزارة الثقافة العراقية على هذه الفعاليات وتترك المهمات الثقافية ذات البعد التقني للمختصين من المثقفين عبر مجلس اعلى مستقل يمول من المال العام ولا يتبع السلطة التنفيذية .. وان الفكرة تستحق المناقشة عبر وسائل الاعلام وعبر المنظمات الثقافية العراقية.

اما الفنانة الكردية(ايفين امين كا كائي) والتي تقيم في بلجيكا فاجابت :-

اقترح ان تقوم الدولة بشراء لوحة او أكثرمن كل فنان مغترب وتعمل كتلوكاً شاملاً لكل اللوحات خاصاً بالمتحف وتستطرد لقد جربنا هذا الموضوع مع حكومه اقليم كردستان ولكن واجهتنا مشاكل مثل ضياع اللوحات . و لم يكتمل الموضوع، احببت ان اشير الى ان فنانين اجانب فرنسيين مثلا تبرعوا بلوحاتهم واختفت اعمالهم وهم الان يطالبون بها المشكلة في العراق يجب ان يكون هناك شخص موثوق او هيئةمن الفنانين المغتربين ويعطى لهاالدعم والحماية والمساندة من قبل الدولة.

واخيرا نقول هل ستعي الجهات المعنية أهمية تلك الصروح الثقافية في بناء الانسان العراقي الجديد الذي نحلم بان يكون مهتماً بالجمال والثقافة؟ وهذا مجرد تساؤل نتمنى من الجهات ذات العلاقة الاجابة عليه .كما هي دعوة لكل المثقفين للادلاء بمقترحاتهم واغناء الموضوع وليكن هذا المشروع على خطة وزارة الثقافة للاحتفاء ببغداد عاصمة الثقافة العربية لعام 2013 بشقيها الاستثماري المتعلق بالبنية التحتية الثقافية والشق الثقافي الخاص بالانشطة والبرامج والفعاليات.

* ناقد تشكيلي عراقي مقيم في المملكة المتحدة

محمود عبد الوهاب.. لم تكن الظلمة تامة ولا الضوء كافياً

شخصنة الحياة.. نصاً

فتى دوى كما الفلك المدوي فقال كلاهما إنا كلانا..

مقداد مسعود

كلما أقرأ هذا البيت من مرثية الجواهري للمتنبي أرى فيه وجيز وجع الإبداع العراقي كله.. أي مباهلة عالية النبرة، في هذه الصورة الشعرية!!،اي تطابق!!.. تماه..!! يوّحد بين الكوني والبشري، أي وعي اسطوري يتشعرن في هذاالبيت !! اي اسطرة شعرية.!!.في هذا البيت ارى التقييم الحق لقوة المبدع، هذا التقييم الكوني، بمجازه المذهل ..حقيقة ملموسة ومرئية لدينا.

لسنا مهرة في صناعة الكلام.. وحده الصانع ألأمهر الجواهري الكبير، التقطه واعتلى منكبيه، فرأى مالم ير سواه، لأن الجواهري، وقف على أكتاف عمالقة، فرأى ابعد منهم...

هل استعملتُ هذا البيت وتحدثتُ عن الجواهري كإستعارة؟ ام عبر قراءتي التي أسميها القراءة بالمجاورة؟ ام كلاهما لأحاكي العابر ألاستثنائي الجميل بنص إ ختز ا لي ، وابوس جبين معلمي وبوصلتي الفذ بإنسانيته محمود عبد الوهاب، أدام الله حضوره فينا وبيننا ولنا...

ايها المعلم. يارقة النعناع وعطره. يامعلمي في الحياة وفي الكتابة لم أستأذنك في المستشفى التعليمي وانا ارفع الغطاء عن وجهك وابوسك من جبينك العالي الذي لم يخفضه حتى الغراب، ولم أستأذنك وانا اكررها في مغتسل (جامع سنان باشا) محلة (مناوي باشا) وابوسك ثانية و..وابوسك رابعة، وها اعلن قبلتي هذه ولن تكون الأخيرة في هذه الأسطر المنكسرة لهباً

القراءة / الفعل..

ثمة من يسّطر نصوصه على الورق، ويتفوق بقوة إبداعه.. العابر الاستثنائي الجميل .....مثقف مفارق، عاش الحياة: نصا جماليا،بإندفاعات عالية القدرة ومديات خضلة ألإتساع، وهكذا صيرّ حياته متنا نصيا إستثنائيا في تجليات الجميل..إلتقط المفارق النصي ..

بشعرية تناوله للحياة..ودس فيه:

ثريا شفرات،تغوي إفق القراءة،بسيرورة مكوكية لاتنقطع في تلافيف نصوصه،التي تغوينا شفافيتها المائية، بسهولة محاكاتها،فنتورط بفضائح نصية مجانية.....

وهكذا أنتج تراتبية ثنائية الراتوب:

حياته: متنا نصيا مركزيا مشعا بإخضرار لانفاد له

نصوصه: هوامش خلاقة تتغذى على المركز النصي الحياتي..

وعيه اليساري،لم يكن من خارج السياج بل على اسفلت الشارع العراقي..

في ترانيم الخمسينيات الجياشة واصطراعات الستينيات وإحتداماتها،وتنقل من تدريس اللغة التي (خبأ الله فيها مفاتيح جناته)..إلى رطوبة السجن..الفصل من التعليم،بعد إطلاق سراحه..العمل ضمن إدارة سينما الكرنك يوم كانت بإدارة بيت الملاك وتحديداً الأستاذ فاروق الملاك طيب الله ثراه..

محمود عبد الوهاب: معلم من معالم البصرة والعراق ،منه ضوء كل مصابيح حدائق إبداعنا بتواضع الصوفيين يرفد كافة الأجيال،يصغي،ويضمد جراحنا، بإخضراره المشع حنوا آسرا..بالطرفة يمسح تجاعيد أرواحنا ،حتى وهو على سرير سواه في المستشفى التعليمي...محمود عبد الوهاب: نصٌ أبيض الشعر والقلب والروح في بساطته الواعية،مكتفيا بعزلته المبصرة المؤتلفة قناعات أفقه المنفتح،دون نكوص، ولاتشنج،، شهرته لم يكسبها من شليلة النقاد ورغم وعيه الحداثي فهو يفتح الأنترنيت للتصفح والإطلاع على بريده، لانوافذ له في الماسنجر..لا يسترخي بمجانية ثقافية في مقاه فيس بك ومشتقاته ..لا يهرول لتأثيل مدونة ليعرف من خلالها...أو موقع....

قصصيا بعد (خاتم ذهب صغير) اشتهر عام 1954، عبر مجلة آلآداب اللبنانية في (القطار الصاعد إلى بغداد) قصته القصيرة وهي خارج سياقات النسيج المؤتلف قصصيا، وداخل هموم المواطن العراقي المتآكل:

(حمالون مجهدون تقصم ظهورهم الصناديق الثقيلة وبالات القطن الكبيرة وترتجف أقدامهم الحافية التي تحاول عبثا أن تثبت على رصيف الميناء) (كنت أرى رؤوسا متهشمة مطرقة متكورة) (صوتها الباكي أثار في قلبي العطف ونقلني إلى أحزان سلسلة من الأمهات اللواتي عشن في صراع متخاذل بين الحاجة وتحقيق حياة فضلى لأبنائهن.) (تذكرت أيضا أمي ...واعتصرني شيء من الألم والشفقة عندما تذكرت أني تركتها،وتضيق على نفسها فترسل إلي ماتستطيع تحصيله وجمعه شهريا لأتمكن من مواصلة دراستي،وتمنيت أن اعود إليها، تمنيت أن ألقي برأسي على صدرها وأبكي متخاذلا)، فدوى (القطار الصاعد إلى بغداد) كنص قصصي عال وبشارة مستقبل منتجه.

تتدحرج في حجرٍ: مصائرهم .../آخر أحجار العرافة : محمود...

هل اكتمل النص؟ نص تلك العرافة، وهي تكتبه ب(الطشة) على كورنيش شط العرب في نهار من نهارات خمسينيات القرن الماضي؟ في مساءات من.....

هل أكمل محمود عبد الوهاب نصه؟ من تدخل في كتابة الفصل ماقبل الأخير؟

مقداد. ياصديقي المؤتمن..كل رحيل هو رحيل قبل الآوان..

قال لي هذه الكلمات..مرة واحدة. وهو يقرأ عنوان مقالتي (الشاعر عبد الخالق محمود ورحيل قبل آلآوان).لماذا أستعيدها دائما، أتأمل شفرة التساؤل!! هل ثمة رغبة جامحة لمزيدٍ من الحياة للإنسان، في طية هذا السؤال؟!

هل اكتمل النّص..؟ نص العرافة..؟

ترمي أحجارها وتعلن قراءتها الأولى :

وهي تشير بإصبعها صوب الشاعربدر شاكر السياب... ستكون نهاية هناك، وصحتك...؟!

ترمي الأحجار ذاتها ثانية وتقدم قراءة ثانية..

تشير .. صوب الشاعرالبريكان..أنت نهايتك مؤلمة جدا و..

ترمي.....وتقدم الثالثة.

وانت ستموت ليس في هذه المدينة – تقصد البصرة – ... القاص والروائي مهدي عيسى الصقر، ثم تتأمل العرافة، محمود عبد الوهاب،تطيل التأمل، في عينيه: ستعيش وحيدا وتموت وحيدا..

وهي تقرأ نصه،لم حذفت العرافة، سعة حبه للناس، الم تشاهد العرافة..حنو غزارة الأغصان الخضلة حوله أم انجذبت لوحشة أيامه، هل رأته(من بين ورقتي شجيرة الظل .... فوجدته يدب مطرقا كأنه يحسب خطواته بإنتظام وكأن شيئا ما في داخله ينكسر) ،هل مهيمنة نص حياة محمود،هيمنت عليها..؟ وهي تعلن عن نصه ،في أحجارها في خمسينيات القرن الماضي، هل رأته كما هو في نصه(عابراً إستثنائياً) وحيداً مهموماً يشيخ في كل لحظة)

العرافة، رمت وقرأت نصوصهم في أفق استجابة الغيب المسطور في مرايا الحجر...

العرافة قرأت ولم تكتب،هم انكتبوا نصوصا وتحديدا نهايتهم إنكتب نصوصا من محابرلامرئية، وسرعان مايظهر الحبر السري ما أن يلامس مصائرهم...

العرافة لحظة عابرة، قراءتها الحجرية، لمصائرهم الأربعة سرديا هو فعل استباق غيبي،تأطر من خلاله في افق استجابة اربعة منتجي ابداع استثنائيين...

هل هذا كل ما قالته العرافة؟ ألم تبشرهما بسلالم أشجارهما العالية العالية؟ بمهابة حضورهما الخالد؟ بغزارة الضوء والندى

فيهما،بإعالتهما لأجيال وأجيال وأجيال إعالة معرفية لانفاد لها.. هم وتحديدا هما مهدي الصقر في أحاديثه الحميمة وفي (المقامة البصرية).. ركز على النقطة الأخيرة في السطر، وهو يحولنا إلى (المسرود له) وكذلك معلمي الكبير وهو يحدثني عن العرافة..كلاهما الصقر ومحمود، لم يسردا لنا المعيش وصدق سرود حجر العرافة لسيرهما..إستوقف إستجابتهما لهفة مالم يحدث اعني المغيوب/ المرتقب، العرافة برمية أحجارها اكتشفت أربعة نصوص بصرية عظيمة..

العرافة، أكتشفت و حولت ألأربعة (المسرود له) ومضت، ولم تمض ،فقد مكثت في وعي ألأربعة،ثم أنتقلت من خلال نصها إلى افق إستجابتنا، حولنا مهدي عيسي الصقر عبر سرده الى(المسرود) وكذا فعل المعلم

الكبير محمود عبد الوهاب..وهو يستدعي العرافة لنا، من خلال نصها ومصيره وهو يدسه في (على جسدك....)، وهو ينصص حياته سردا،هل تماهى نصيا مع نص العرافة؟

هاهو يكتبه نصه ماقبل ألأخير،يجمعنا في مشفى التعليم، يقودنا الى جامع سنان باشا في مناوي باشا، ثم يدعونا إلى ان نغادره برهة ليل،وحده في الجامع، ليكتب ماتبقى من النص ماقبل ألأخير، من خلال المصلين، صلاة المغرب.. ثم يجمعهم في صلاة العشاء، في البيت يكتبني لمحاورته نصيا..

هاهو يكتب نصه في غفوتي أراه ،مرتديا قاطه البيج وربطة عنقه البنية، أراه كما رأيت وانا في صباي ،بشعره الفضي الكثيف وبحة صوته في محل الخياط(محمد مسعود)...

يخاطبني : هل أجيد دوره الميت ؟

أستيقظ..من نومي،أبكر في الذهاب...قبل الوصول الى الجامع بخطوات اصعد في سيارة عادل مهدي عيسى الصقر.....داخل الجامع : الإنسان الفذ في وفائه ،أعني القاص محمد خضير .. وامامنا يتمدد في صندوق عرسه بثيابه البيض : آخر الملائكة

كسوة البياض هل هي...قناع الغراب؟ رغوة الحليب الأول من ينابيع الأمهات ؟ البياض يثّبت؟ يعيد لنا عذرية القماط؟ ام في البياض كمون الألوان كلها؟

هل إكتمل النص....ماقبل الأخير...؟

النص مرمد والنهار بهي في 7 كانون الأول، العابر الإستثنائي يقف أول السطر في 8/ كانون الأول،ليكتبنا نصا..

رتلا طويل من المركبات تجاه..الحسن البصري..رابعة العدوية ...إبن سيرين...واصل بن عطاء..عبد الغفار ألأخرس،السياب..البريكان، عبد الخالق محمود..

ألإستثنائي الوترمحمود عبد الوهاب ،كلنا عيال عليه ، ايها الوتر يا محمود غربتنا كل هذه الذرية الطيبة أولادك؟!

وأحفادك ! تعالوا ايها المتزوجون مثنى وثلاثا ورباعا ..هل لديكم اولاد وأحفاد بحجم موكب تشييعه ، بحجم المعزين الذين ضاق بهم الفضاء الرحب لمجلس الفاتحة !!

ها نحن في المركبات...نحاول مشافهة كتابة نصوصنا عنه، أقصد يتماهى فينا، لنكتب من خلاله.. وينفتح النص،لاكفراغ في تابوت...

لاكقبر ينتظر ملاء

ينفتح النص ويتشابك مثل شجرة تلك العجوز البولونية في روايته (رغوة السحاب)....

واراها شجرة،أصلها زرقة اللانهائي،وفروعها في بياض البياض وهو يتساقط ..منّا من السماء.

الرأسمالية والفن.. قصة الصراع الأزلي

الطريق الثقافي- رويترز

أقامت شركة تصنيع صفائح الأسمنت الأسبانية الشهيرة "إيترنت" دعوى قضائية ضد منظمي المعرض الأخير الخاصّ بأعمال المصمم المعماري البرتغالي الشهير أدواردو سوتو دي مورا، الفائز بجائزة بريتزكر للفن المعماري، وهي أرفع جائزة في عالم التصميم المعماري وتعادل أهميتها جائزة نوبل للأداب، وتأتي الدعوى بسبب طروحات دي مورا المتعلقة بالمباني الصديقة للبيئة ورفضه استخدام الصفائح الأسمنية الجاهزة في تصاميمه الحديثة، على الرغم من أن شركة "إيترنت" لصفائح الأسمنت هي أحد رعاة المعرض البارزين على مدى سنوات طويلة.

مغامرات تان تان في فيلم جديد لستيفن سبيلبرغ

الطريق الثقافي- رويترز

المغامرات المصوّرة الشهيرة تان تان التي عكف الكاتب والرسام البلجيكي جورج ريمي الملقب ب"هيرجي" والمتوفى في العام 1983 على إصدارها منذ ثلاثينات القرن الماضي، سيتحول قسم منها إلى فيلم رسوم متحركة جديد من إخراج ستيفن سبيلبيرغ، بعد إن تحول القسم الأوّل منها إلى فيلم ناجح قبل سنتين، وعرف سبيلبيرغ بإخراج الجزء الأوّل من سلسلة أفلام أنديانا جونز الشهيرة قبل ثلاثين عاماً وكان أحدها مستوحى من مغامرات تان تان أيضاً بعنوان "أنديانا جونز: المغيّرون". وتدور أحداث فيلم المغامرات الجديد حول اكتشافات عالم الآثار المثيرة مع صديقه المراسل الصحفي تان تان.

يذكر أن الجزء الأوّل من المغامرات كان قد صنع بواسطة المخرج المعروف بيتر جاكسون الذي عرف بسلسلة أفلامه المثيرة "ملك الخواتم".

جوائز سوني العالمية التصوير الفوتوغرافي

الطريق الثقافي- رويترز

أعلنت شركة سوني للتقنيات عن موعد توزيع جوائز التصوير العالمية ضمن مهرجان "صورة العالم الآن" التي الذي سينظم في الفترة من 27 حتى 30 نيسان/ أبريل 2012، والتي بدأتها الشركة كتقليد سنوي منذ العام 2007، وتهدف إلى تعزيز عمل المصورين المحترفين والهواة في جميع أنحاء العالم، ويمكن للمصورين المحترفين والهواة تحميل صورهم والترشح لجوائز سوني للتصوير العالمية بواسطة موقع SWPA على الإنترنت، وستعرض الصور الفائزة في معارض مختلفة ستنظم في كافة أنحاء العالم، ويحصل المصوّر الفائز على جائزة مالية قيمتها ألف 25000 دولار بالإضافة إلى مجموعة كاملة من معدات سوني وأحدث تقنياتها في مجال التصوير.

وتتكون المسابقة من مستويات عدة على النحو الآتي:

- مسابقة سونس لهواة وعشاق التصوير المفتوحة
- المسابقة المهنية للمصورين المحترفين
- مسابقة المصورين الشباب دون سن 25 سنة
- مسابقة الصور المتحركة
- مسابقة التصوير الفوتوغرافي لطلاب التعليم العالي
- مسابقة التصوير ثلاثي الأبعاد 3D
- للتصوير الفوتوغرافي والفيديو

الشاعر عبد الكريم كاصد

الشعر بلا شر لن يكون شعراً

حاوره: القسم الثقافي

عبدالكريم كاصد من الشعراء العراقيين الذين تركوا بصمة مؤثرة على خريطة الشعر العراقي والعربي وهو من جيل أواخر السيتينيات. تتمتع قصائده بنكهة خاصة فيها من المرارة والسخرية ، والتوق الى الانعتاق ، تتفتح في لغة خاصة نحتها الشاعر عبر تجربة امتدت لثلاثة عقود من الكتابة في العراق و المنافي بدءاً من دمشق وبيروت وعدن وقبرص ولندن حيث يقيم منذ سنوات طويلة . أصدر عبدالكريم كاصد العديد من المجموعات الشعرية ، وله عناية خاصة بترجمة الشعر العالمي .

ابتدأ الشاعر عبد الكريم كاصد نشر قصائده الأولى منذ أواخر ستينيات القرن العشرين المنصرم. صدرت أولى مجموعاته الشعرية الحقائب سنة ١٩٧٥، لتليها النقر على أبواب الطفولة (١٩٧٨)، الشاهدة (١٩٨١)، وردة البيكاجي (١٩٨٣)، نزهة الآلام (١٩٩١)، سراباد (١٩٩٧)، دقات لا يبلغها الضوء (١٩٩٨)، قفا نبك (٢٠٠٢)، و زهيريات (٢٠٠٥).

ولد عبد الكريم كاصد في مدينة البصرة (العراق) سنة ١٩٤٦. و حصل على ليسانس في الفلسفة من جامعة دمشق عام ١٩٦٧، و ماجستير في الترجمة من جامعة وستمنستر بلندن١٩٩٣، ثم بكالوريوس في الأدب الانجليزي من جامعة نورث لندن سنة ١٩٩٥.

زاول التعليم كمدرس للغة العربية و علم النفس. كما اشتغل في الصحافة كمحرر ثقافي في مجلة "الثقافة اليمنية". غادر العراق هربا من ملاحقة السلطة له و للعديد من المثقفين العراقيين. عاش حياة ترحال و منفى أخذته عبر العديد من البلدان العربية و الأوروبية كاليمن و الجزائر وسوريا و لبنان و فرنسا و روسيا لتحط به الرحال بالمملكة المتحدة منذ أواخر التسعينات. يقيم حاليا بمدينة لندن مع طفليه زياد و سارة بعد رحيل زوجته حذام عام ٢٠٠٢.

ترجم الشاعر العديد من الدواوين الشعرية: منها " كلمات" لجاك بريفير (١٩٨١)، أناباز لسان جون بيرس(١٩٨٧)، قصاصات ليانيس ريتسوس(١٩٨٧)، ثم نكهة الجبل للشاعر الياباني سانتيوكا تانيدا (٢٠٠٦).

ألف عبد الكريم كاصد في القصة كما في المسرح حيث صدرت له المجموعة القصصية المجانين لا يتعبون (٢٠٠٤)، و عرضت له مسرحية شعرية بعنوان حكاية جندي في مسرح أولد فيك Old Vic الشهير بلندن خلال عام ٢٠٠٦. كما أنجز عملا تحقيقيا للأعمال الشعرية الكاملة للشاعر العراقي مصطفى عبد الله الذي عاش بمدينة القنيطرة بالمغرب.

ترجمت قصائده إلى اللغات الفرنسية و الإنجليزية و الدانماركية، كما وردت سيرته في معظم أنتولوجيات الشعر العربي خصوصا في "معجم الكتاب المعاصرين" و "معجم البابطين" و"أنتولوجيا الأدب العربي المهجري المعاصر" للدكتور لطفي حداد و من قبلها "أنتولوجيا الشعر العربي" لسلمى خضراء ال جيوسي.

شارك في منتديات شعرية دولية بألمانيا والسويد و الدانمارك وبريطانيا والمغرب والجزائر. كما نشرت أعماله و ما تزال تنشر في أهم الدوريات و المجلات الأدبية والشعرية،

و اعترافا بعطائه الشعري المتواصل أقيمت دورة مهرجان المربد باسمه سنة ٢٠٠٦.

الطريق الثقافي التقته في مهرجان الجواهري الأخير وكان لها وقفة مع رحلته الشعرية وهموم الكتابة.

• بدأت ونخبة من شعراء البصرة بقصيدة اليومي والمألوف.. هل مازال المشروع قائماً؟ وكيف تطورت تلك البدايات الستينية لاحقاً؟

في حديث عابر علّق أحد الاصدقاء الشعراء قائلاً: "إنّ النثر بلا شعر ليس نثراً"، فأجبته: " والشعر بلا نثر لن يكون شعراً"، ولعل ما أشرتَ إليه من يوميّ ومألوف هو نثر الحياة الضروريّ للشعر أيْ إنه ضرورة في صلب أوجوهر الشعر وليس عرضاً زائلاً نكتبه اليوم لنتخلى عنه غداً. وحتى هذه النعوت "اليومي"، "المألوف" هي نعوت تستمدّ معانيها من نقيضها في المعنى، وهي لا تدخل الشعر بعلائقها المألوفة وإنما بتحولاتها التي تكتنفها في القصيدة فهي ليست في القصيدة كما هي في الواقع، بل إنها ليست هي ذاتها في القصيدة وإن أشارت إلى خارجها.

اليوميّ والمألوف في الشعر حين يفقد عرضيته في القصيدة يصبح غير مألوف ويوميّ أي يصبح شعراً له كل ما للشعر من ديمومة وبقاء.

في اللجوء إلى اليوميّ والمألوف كسرٌ للرتابة والبلاغة المفارقة الأقرب إلى السكون، وبحثٌ عن الغرابة في ما يبدو للآخر يوميّاً مهملاً.

إنّ إطالة التحديق في الشئ هو كشف في حدّ ذاته.. كشف لما هو أبعد مما نراه في مرورنا السريع به.

• المتداول نقدياً، أن قصيدة اليومي والمألوف بدات بديوان سعدي يوسف ٥١ قصيدة وتطورت لاحقاً، لكنكم أنت وكاظم الحجاج، ومصطفى عبدالله، ومهدي محمد علي، وحسين عبداللطيف، قد عمقتم هذا الاتجاه. ترى هل مازلتم تكتبون به؟

لم يكن توجهنا إلى اليوميّ والمألوف ذا طابع سياسيّ حتى وإنْ كان هذا الطابع كامناً فيه، فهو كما عبرتُ عنه في السؤال الأول ذو وظيفة جمالية لها استقلاليتها حتى وإن بدت أنها في قلب المعترك السياسيّ، لذلك فإنّ لها طابعها غير العرضيّ الذي لا يتعلق بمشيئة الشاعر في التخلي عن هذا المنحى أو الاستمرار فيه، لأنه ليس أسلوباً من بين أساليب أخرى بل جوهر شعري في القصيدة ينأى بها عمّا يجعلها في دائرة التكرار لأنّ في اليوميّ والمألوف غنىً نادراً هو غنى الواقع الذي لا يُستنفد جمالياً على الإطلاق حتى وإن استنفدت الأساليب الشعرية بعمومها.

• زاولت مؤخراً كتابة القصة القصيرة. هل هي موضوعات فالتة من التجربة الشعرية أم موضوعات لا تكتب إلاّ في إطار السرد القصصي؟

كتبتُ القصة القصيرة لفترة وجيزة في بداية الثمانينيات ولم أعد إليها إلاّ مرة أو مرتين أثناء وجودي في لندن لأنني وجدت أن موضوعاتها لا تُكتب إلاّ في هذا الجنس ولعلّ في كتابتي للمسرح أو النصوص السردية كنص (جنة ابي العلاء) ما يقربني منها ثانية بأشكال أخرى قد تمتدّ لتحتوي أجناساً لم تطرأ على بالي من قبل.

• طريقتك في كتابة بعض القصائد تنحو إلى المزاوجة بين الشعر الشعبي والفصيح. لماذا لجأت لمثل هذه المزاوجة؟

لم أزاوج بين الشعر الشعبيّ والفصيح وما كتبته هو شعر استعار الأشكال الشعبية في الشعر الشعبي كالمواويل (الزهيريات) لكتابة مثل هذا النمط من الشعر. استعرت أشكالها فقط، مثلما يستعير الشعر الشعبي أشكالاً من الشعر الفصيح. شعراء شعبيّون كصلاح جاهين استعاروا شكل الرباعيات والسونيتات لكتابة أشعارهم وبرعوا فيها. وفي رأيي أنّ السونيتات التي كتبها صلاح جاهين بشكل خاص هي أفضل من السونيتات المكتوبة في الشعر الفصيح الذي استعارها بدوره من الشعر الأوربي. ليس ثمة حدّ فاصل بين النمطين.

تجربتي هذه هي واحدة من بين عشرات التجارب التي احتوتها كتبي التي تكاد تبلغ الآن الأربعين كتاباً.

• عشت ومازلت تعيش في أوربا.. ماذا كسبت منها؟ وماذا كسبت منك؟

لم تكن أوربا بعيدة عني عندما كنتُ في العراق، مثلما لم تكن غريبة وقد ألفتها من قبل. وفي إقامتي لم أكن ذلك الرابح الكبير وقد خسرت فيها الكثير، ولعلّ خساراتي هذه هي ربحي أيضاً.. لا أدري. في الشعر ما من خسارة أبداً، فهو الكيمياء الذي يحوّل الخسارة ربحاً كلما حوّل الواقع ربحي خسارة.

لقد فقدتُ في أوربا ما يجعل أرباحي صغيرة على الرغم من حجمها الذي يبدو كبيراً.

إنني أعيش حياتي في أوربا وأسفاري بكل عمقها مما يجعلني غير مكترث لحسابات الربح والخسارة والتي لا أجيد إحصاءها في أحيان كثيرة.

• تجارب وتمارين كثيرة مررت بها في مهرجانات تقام في هذه المدينة الأوربية أو تلك. ماذا كانت حصيلة هذه التجارب شعرياً بالنسبة لك؟

ليست هي مهرجانات بالمعنى الدقيق الذي ألفناه، وما اتخذ صيغة المهرجانات من نشاطات تقف وراءها جهات عربية هي ليست بتلك السعة والحجم اللذين تقدم بهما عبر الإعلام فبعضها يقتصر أحياناً على الشعراء المدعوّين أنفسهم إذ هم الشعراء والجمهور في آن واحد، حتى وإن ضمّتْ هذه المهرجانات بعض الأسماء المعروفة إعلامياً. وأنا لا أعتقد بجدواها إلاّ إذا رافقها نشاط ثقافيّ حقيقيّ: نقاشات مع الحاضرين من جمهوراللغة الأخرى،أو طبع مختارات معينة للشاعر المشارك أو بعض الشعراء المشاركين أو ما يشبه ذلك من نشاطات أخرى هي أكثر فاعلية ودواماً. أما أن تقرأ لأفراد حضروا بالصدفة ربما أو لعدد محدود جدّاً من الحاضرين فهو ليس أكثر من نشاط لا يكشف إلا عن طابعه التجاريّ المخفيّ وراء ما هو نقيضه: الشعر. وأغلب هذه المهرجانات لا تتصف بدقة اختياراتها ويغلب عليها طابع الشللية وقد يُمارس بعضها بـ "فهلوة" من قبل وكلائها باعتبارها دليلاً على قدرتهم في اختراق المؤسسات الثقافية الأجنبية...إلخ من هذه الدعاوى الجوفاء.

• من يتابعك يجد أن المغرب العربي له حصة في ممارستك ونشر كتبك في الجزائر والمغرب.. ما سبب ذلك؟ وهل حقّاً إنّ المبدع العراقي يجد في هذه البلدان مجالاً أوسع؟

أقمتُ في الجزائر ما يقرب من ثلاث سنوات وكان لإقامتي هذه أثر في كتاباتي الشعرية والنثرية: الحقائب (مجموعة شعرية)، المجانين لا يتعبون (مجموعة قصصية)، باتجاه الجنوب شمالاً (أدب رحلات)، وقد يكون أثرها لم ينته بعد. أما المغرب فتربطني بها أكثر من وشيجة: كتاب (الشاعر خارج النص) وهو الحوار الغني الذي استغرق أكثر من ثلاثمئة صفحة والذي أجراه معي الشاعر والكاتب والمترجم (عبدالقادر الجموسي) الذي اعتبره الكثيرون من أفضل الحوارات في تاريخنا الشعريّ، لعمق أسئلته واطلاع صاحبها الدقيق على تفاصيل ما يطرحه، ومعرفته الواسعة باللغات والشعر أي أنه ليس ذلك الحوار الصحفيّ العابر المألوف، مما دفعني أنْ أسأل هذا الرجل الدبلوماسيّ ذا المشاغل العديدة: لم يشغل نفسه ويجهدها بالاطلاع على كتبي ومقالاتي وكتاباتي الأخرى؟. لقد كان لجدّة بحثه وعمقه أعمق الأثر في نفسي.

كان ثمرة ذلك أخوة ربطتنا معاً واستضافة في المغرب احتفاءً بالكتاب من قبل اتحاد الكتاب المغاربة حيث حضر الأمسيتين اللتين أقيمتا بهذه المناسبة في الرباط والقنيطرة خيرة أدباء المغرب.

أعقب هذا الكتاب مجموعتي (الديوان المغربيّ) التي عبّرت عن حبّي وشغفي بالمغرب وأهله. ولم ينته الأمرعند هذا الحدّ إذ إنني وجدتُ نفسي، بعد أن زرتُ المغرب أكثر من مرّة، أنني مدفوع للكتابة عنها فكان كتاب (صورة مراكش) الذي لم يطبع بعد..

الكتابان السابقان طبعا في المغرب وهذا الكتاب لم أقدّمه للطبع حتى الآن، ولأنّ ثمة أكثر من وشيجة بيني وبين المغرب اقترحوا عليّ أن يطبعوا لي مختارات شعرية تقرب من الاربعمئة صفحة ربما ستصدر في مطلع العام القادم كتب مقدمتها الصديق الشاعر الدكتور (محمود عبدالغني).

وهكذا فإن علاقتي بالمغرب اكتست أكثر من طابع يتداخل فيه العام والخاص، الحياة والشعر، الإقامة والرحيل.

• مارست لفترة معينة ترجمة قصائد من الشعر الفرنسي. لماذا فعلت ذلك؟ هل كانت ثمة حاجة معرفية لمثل هذه الترجمات؟

أستطيع أن أقول أن دافعي الأساسيّ إلى الترجمة هو رغبتي في تقديم ما أحسبه جميلاً ونافعاً إلى القارئ العربيّ، أما الدافع الآخر فهو إنني فوجئت أنّ بعض النصوص التي قرأتها في لغتها الأصلية افتقدت الكثير من وضوحها وسلاستها في الترجمة مما دفعني إلى ترجمتها وكأنني أعيد إليها روحها التي افتقدتها في الترجمة.

أحرص الآن أن أقدم إلى القارئ العربي شعراء كباراًغير معروفين في لغتنا: الشاعر الروماني مارين سوريسكو، الشاعر البولوني زبغنييف، الشاعرالجيكي ميروسلاف هولوب وخاصة في أشعاره الأخيرة، الشاعر الويلزي آر. إس. توماس، الشاعر الياباني سانتيوكا وهذا الشاعر من النماذج الغريبة في الشعر فهو أصرّ، قبل وفاته، أن يبقى شحاذاً يقرأ السوترا في الأبواب ويرفض عرض أصدقائه والدولة ببيت وراتب، لأن التسول، في اعتقاده، تقليد في الشعر الياباني مارسه أعظم شعرائهم. الديوان الذي ترجمته له (نكهة الجبل) يحتوي على هايكو من نمط خاص يختلف عن الهايكو الشائع في بساطته وألفته وغرابته لا بمفارقاته. إنه رصد دقيق لتفصيلات الواقع المألوفة جداً والتي باجتماع بعضها ببعض،، تكتسب غرابة من نوع خاص، دونما حاجة إلى تلك المخيلة الشديدة المطلوبة في الشعر.

• البصرة، المنزل الأول.. ماذا بقي فيها في ذاكرتك؟

السؤال المؤرق لي هو: ما الذي تبقّى من البصرة ؟

قد تستغرب إذا قلت لك إنّ ملامحها الأولى، على الرغم من زياراتي المتكررة إليها، لم تختف إن لم تكن هي الأبقى في الذاكرة. وبعض أماكنها لا أستطيع أن أستدلّ عليها إن لم أستحضر ملامحها الأولى في ذاكرتي.

في كلّ زيارة أحاول جاهداً أن أرتّب ذاكرتي من جديد فلا أفلح في مسعاي. وفي الواقع فإنّ ما يجري هو بالضدّ مما أريد، فبدلاً من إزاحة ما في ذاكرتي ليحل محلّه الواقع الذي أراه ولا أقول "أعيشه"، يحدث العكس: تزيح الذاكرة أشياء الواقع مهما حاولت أن أستذكر هذا الواقع ثانية بملامحه الحاضرة. لعلّ في هذا شيئاً من أسفٍ أو حزنٍ أو خيبة.. لا أدري.

لقد حضرت الاشياء في الذاكرة وغابتْ في الواقع، غير أن المفارقة الأشدّ إيلاماً هي كيف تراني سأهتدي إلى ماضٍ أبحث عنه في حاضر المدينة. أعرف أن ذلكً محال لكنني لن أكفّ أبداً عن هذا البحث رغم عدم جدواه.

• كيف تولد القصيدة.. عن طريق فكرة، موضوع، اعتباطية.. أم ثمة تخطيط مسبق لها؟

ما من قاعدة لولادة القصيدة. إنها يمكن أن تبزغ من أيّ شئ خارج الإنسان في هذا الكون العريض أو من داخل الإنسان ذي الأغوار السحيقة التي تمتدّ إلى الغابة والإنسان الأول، وقد تأتي أحياناً من همهمة تخامرك أي من فراغ لا تسكنه غير دمدمة أو إيقاع ما، تجهل من أين أتى.. فجأة يتشكل هذا الإيقاع كلمات تتضح وتتضح لتغدو قصيدة.. واقعاً آخر لَه موضوعه وفكره وشخوصه، وقد يكون التخطيط لاحقاً للقصيدة لا سابقاً لها حينما تنكتب، فيبدأ التشذيب والحذف لتكتشف أنّ ثمة قصيدة أخرى بزغت.

إن تحولات القصيدة ومفاجآتها لا يمكن التنبؤ بها حتى لو انطلقت من فكرة محددة أو موضوع محّدد، فثمة ما يتجاوزها دوماً.

• يلاحظ المتتبع ثمة شخصيات كبيرة موضوعاً لقصائدك، كابن خلدون وغيره، ما معنى أن يتقنع شاعر شخصية تراثية؟

لا أتعامل مع هذه الشخصيات باعتبارها أقنعة لي وإنما أتعامل معها بصفتها شخصيات حية مثلها مثل أي شخصية ألتقي بها في الواقع. إنني أتعامل معها باعتبارها كشفاً لي ولها في آن واحد.. كشفاً لذلك الجزء المجهول غير المرئيّ رغم سطوعه الذي قد يضئ الشخصية بأجمعها:

ابن خلدون وصراعه وسط صراعات عصره ومأساته التي اضفت عليه مسحة البطل التراجيديّ الذي لم يُنظر إلاّ إلى الجانب الانتهازيّ في شخصه لا إلى ما يتجاوزه من طباق هو الأعمق..

من أنت؟
قاضي المالكية؟ نادبُ الأوطان؟ هجّاءُ القبيلة؟
حاملُ الأختامَ في ليل الملوك؟ مروّضُ الأعراب؟
ريبيٌّ تهاون بالمذاهب؟ خاطبُ الأنساب؟
جبريٌّ؟ لسانُ الأشعرية؟ قاطعُ الأرحام؟ قطبُ
السالكين؟ مشيّع الموتى وعائدُهم بآخرة الكه
ولة؟
منْ؟
تشبّثْ يا ابن خلدون بقشّتكَ السفينةِ —
هاجرتْ أممٌ إلى المَنفى
وعادتْ من منافيها إلى أوطانها أممٌ
وأعلنتْ القبائلُ رايةَ العصيان

من قصيدة (ابن خلدون) في ديوان (سراباد)

ابن زيدون الذي يراه الجميع الشاعر الرقيق والعاشق الولهان بحبّ ولاّدة بنت المستكفي ولكنه أيضاً الشاعر نديم المعتضد المعتوه الذي زيّن حديقته بجماجم أبنائه وصحبه ومن بينهم جمجمة ابنه الأكبر:

في حديقة غنّاء
تزيّنها الجَماجم
يجلس دوماً
الملكُ المعتضد بن عبّاد
وشاعرهُ ابنُ زيدون
ليحتسيا الخمر
من بين هذه الجماجم
جمجمة ابن المعتضد الأكبر

قصيدة (واقعة شعرية) في ديوان (قفا نبك)

ولعلّ ما أقوله يتضح أكثر،ربّما، بهذا الهتاف الذي ترددهُ الأجيال في مديح القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد دون أن يتوقف أحد عند دمهما الذي سال في دمشق:

الهتاف
الذي ردّدتهُ العصور
ولم ينقطعْ بعد
للفاتحَين:
موسى بن نصير
وطارق بن زياد
هل ترى سمعاه؟
عندما اقتربا من دمشق
وسال دمٌ من وراء الستارة
لم يرهُ أحدٌ
وسْط دويّ الهتاف الذي ردّدته العصور
ولم ينقطع بعد
قصيدة (هتاف) في ديوان (قفا نبك)

وهكذا فإنني لا أقنّع الشخصية أو ارتدي قناعها بل أكشف عنها لتكشف عني، مثل أيّ موضوع آخر في شعري أتناوله لأضئ فيه ما أعتم طويلاً وليضئ ما لم يتضح لي من قبل.

في اليوميّ والمألوف غنىً نادراً هو غنى الواقع

«أوراق جبلية» للروائي زهير الجزائري

تجربة ذاتية وشهادة عن عقود دامية

جاسم العايف

أين يقع كتاب الباحث والإعلامي والروائي زهير الجزائري(أوراق جبلية)* بين مؤلفاته المتنوعة الكثيرة ؟. هل يقع ضمن سرد التجربة الشخصية، عند التحاقه بفصائل (الأنصار) في كردستان ، ونزعة رواية التجربة ، بعد معايشتها و معاينتها بكل التباساتها و خساراتها و دمويتها ، وفحصها ، من وجهة نظره، ومن ثم تدوين مجرياتها، التي يرى(الجزائري)، انه لابد من سردها لتكون شهادة موثقة لزمن كان فيه مشاركاً و مراقباً وشاهداً على عقود دامية من حياة العراقيين. إن بين أدب السيرة الذاتية والتاريخ صلة وثيقة ،لأنها تُصور مختلف البيئات ، وأحداثها المعززة بالوقائع و الأحلام والرؤى، و كذلك الحالات النفسية.

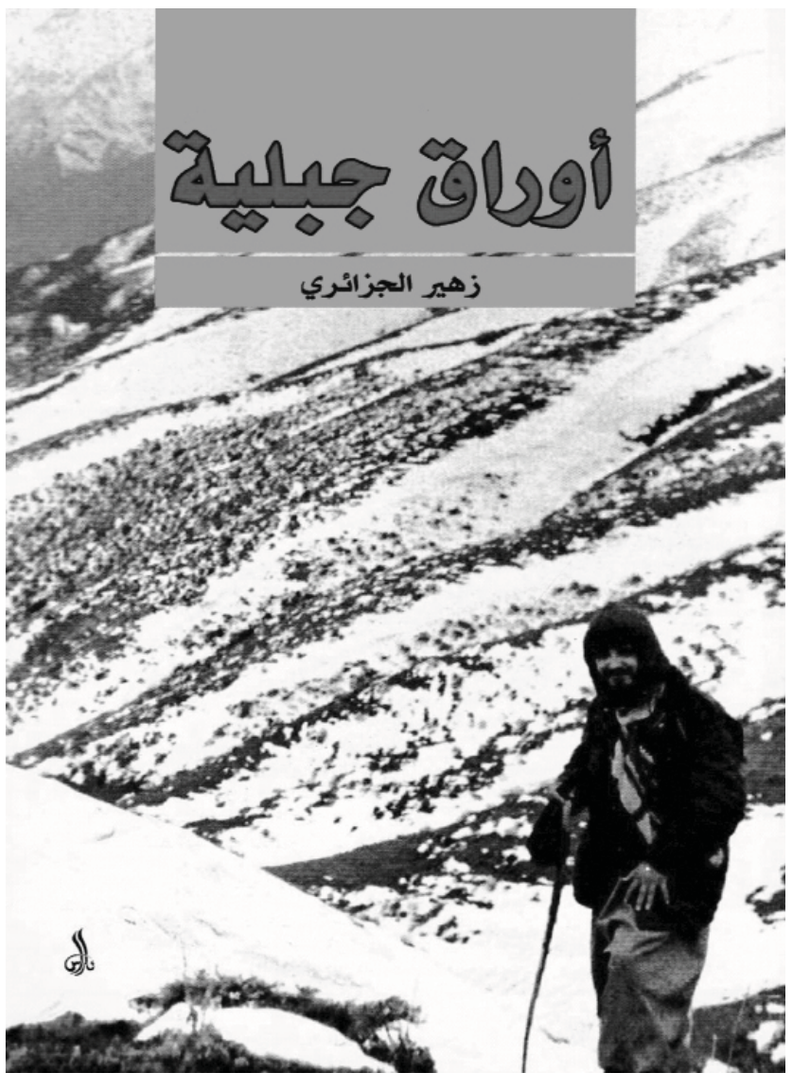

يتميز هذا الجنس بان مادته التجربة الحياتية المرتبطة بالسيرة الشخصية، فللكاتب سيرته الذاتية وتجربته التي يروي فيها مرحلة ما في حياته ، وقد سردها (الجزائري)بلغة أدبية، واضحة الدلالات والمنحى التوثيقي المكثف. ففي تلك العقود، وما حصل فيها لم تكن القسوة / بحدها الأقصى/ نتاجاً عرضياً لعقاب،بل كانت تلك القسوة المترافقة بالبشاعة مطلوبةً (سلطوياً) وقد كان تصميمها وصورتها وتنفيذها كامناً في خيال صاحب القرار، وبما إن الوسائل متوفرة ، فأوقات التنفيذ وأشكاله تتوقف على القرارات من الأعلى، ولا تقتضي هذه القرارات حججاً ، وغالباً ما تجد السبيل للتنفيذ، ومُهيئاً بعد إصدار الأوامر. فالعقاب جاهز قبل التيقن من ذلك، انه إنهاء نشاط ووجود ما يسمى بمنطق السلطة الغاشم ،دائماً ، التي تصفه وتدمغه بـ (المخربين) ، حسب منطقها، و يعني ذلك واقعياً، تحويل الأرض في بعض مناطق كردستان إلى فراغ خالٍ من البشر، ومحيط مسموم وملوّث بما يمكن ويقود لان يقضي على الحياة والطبيعة في تلك الأرض، أي حياة كانت، سواء كانت حياة الإنسان أم الحيوان أم الأشجار. انه أمر واضح وقرار لا تراجع عنه لسلطة تقاتل حتى الأشباح، لغرض ديمومتها واستمرارها في منهجها، و الذي يعني في توجهها النسقي والعمودي (كل شيء عدو)) طالما لا ينسجم معها وتوجهاتها ويغدو أليفاً وطيعاً في حظيرتها. إذاً في عرفها لابد من (الفناء) لكل ما تتصوره أوتراه أو يكمن في مخيالها، بصفته (عدو) ويجب إفناؤه تماماً، ولا يمكن ولا يجوز في عرفها التحاور معه. فهذا الـ(كل شيء) لا يَقع (هناك) الذي هو (المجرد) بل انه الـ(هناك) المشخص العيني، انه الـ(هناك) المعادي/ العدو/ لها بالضرورة. يبدأ (الجزائري) كتابه من خلال عودته إلى أوراقه القديمة، والتي يعيد كتابتها،أو ينقحها ويضيف إليها، بعد أكثر من عشرين عاماً على صدورها عن دار نشر (جبلية وهمية) اختفت من الوجود تماماً، وهو يؤكد انه لا يملك نسخة واحدة منها ، حتى أهداه احد رفاق الجبل النسخة الوحيدة والتي احتفظ بها لمواجهة الإنكار. تُرى إنكار مَنْ؟ أهو إنكار الزمن وجهل التاريخ أو الحاضر بالوقائع والحيوات الماضية؟. أم الأجيال الشابة التي لم تفتح عينيها على تلك الوقائع القاسية، ولا تهتم بها، لهذا يستعيد(الجزائري) هذه الأوراق لإعادة طرحها للجيل الذي لا يعرف ، وربما لا يريد أن يعرف ، عن الماضي وآثامه وانتصاراته أو هزائمه ، وأفراحه وأحزانه ونكوصه وخسائره الفادحة المتواصلة ، و لا يهمه ذلك الماضي ، كما في موقف مرافقته الشابة، في مدينة السليمانية، التي لم تهتم بما أسَرها به عن مرافقته للبيشمركة ، و معرفته هذه الجبال وحياته فيها ثلاث سنوات!؟ ولم تتوقف تلك الشابة أمام هذه المعلومة وتسأله عن تلك السنوات ، حتى : لماذا.. وكيفَ..!؟. بل تركته وحيداً مخذولاً، لتدخل إلى محلٍ يبيع أقراص الأغاني والموسيقى الحديثة، وبعد خروجها تعلن له: إن أغاني البيشمركه عن شهدائهم تأتي في الدرجة العاشرة من اهتمام الأجيال الجديدة !!. إنهم مشغولون بأغاني نانسي عجرم واليسا وكاظم الساهر. فالماضي لاعلاقة لهم به، والدماء التي أريقت خلاله، لم تعد ساخنة ولامعة بل جافة ،أو إنها ليست سوى ماء مبدد و يبدو لا قيمة له الآن..!؟. و(الجزائري) يعيد كتابة هذه الأوراق ليثَبتَ ذاك التاريخ، بوجه النسيان ، فمن ينسى الماضي محكوم عليه بتكراره حسب ما يقوله"جورج سانتايانا". كما انه يكتبه ويوثقه للذين قاتل معهم السلطة، وصاروا رجال السلطة البديلة، وما أن يدخل دوائرهم ومؤسساتهم، يخرجون له من وراء طاولات السلطة وبذخها بالبدلات الرسمية المزررة ومعها ربطات العنق المستوردة ، وهم يقعون في منطقة حائرة بين الود والابتسام من لقاء التضاد هذا ، وبين الواقع الذي يفرضه الموقع(الرسمي) الجديد !؟. إنهم يمدون أيديهم وكأنهم يعلنون الحرج والاعتذار لـ(تغيرهم الضروري) ، حيث ربما خَذلوا بمواقعهم الحالية، والدهم(الجبل) الذي بقي مكانه بينما غادره الأبناء ليكونوا: أبناء لسلطة حاربوها، ثم استبدلوها!؟. ولكن هل عمدوا لقتل أباهم (الجبل) في مواقعهم الحالية؟. أم كانوا أوفياء لكرمه الذي منحهم الجاه والشهرة ، ونعيم السلطة ، وقسوتها كذلك، فلا سلطة أبداً بلا قوة و قسوة، وبلا ضحايا.. وضحايا لعل الزمن القادم ،سيثبت أنهم كانوا أبرياء، لكن بعد فوات الأوان. كما انه يعيد كتابته للذين دوت القذائف في آذانهم ولعلع الرصاص قربهم وترك جروحاً أو عوقاً على أجسادهم، ومزق أرواحهم معنوياً، و بعضهم بات جثثاً غرقى محنطة في متاهات الثلوج إلى الأبد، ولتلك (المدن الفاضلة) ومعها حشد من شهداء وأعزاء مفقودين ، لم تُعَرف مصائرهم حتى اللحظة !؟.أنه خطاب للذين اجتازوا المحنة ، وكأنه يطالبهم بعدم النسيان، وجمع بيانات الضحايا ، لأن الماضي بات ذكرى ، وان كل الضحايا كانوا بشراً لهم أسماء وقسمات وآمال وتطلعات. ولعل لا أحد فكر، مجرد جمع بياناتهم !؟. يستدعي (الجزائري) محطات الحدود التي يأتي إليها المقاتلون من كردستان ،جرحى، مرضى، مجازون ، وهاربون من جحيم الحياة في وطن اسمه رسمياً(العراق) وكم خذل هذا (العراق) الأبناء بتحولاته القاسية الصاخبة و العنيفة و المريرة، وبما يتجاوز حتى الزلزال، طوال تاريخه الموغل في القدم. هناك في (محطات الحدود) يحدث ما يشبه العمل في (المسرح)،عند تبادل الأدوار، الصاعدون للجبل يتركون القمصان المنقطة المخططة والأحذية الحديثة اللامعة، ويرتدون ما يتركه النازلون منه. يلتقط (الجزائري) من بوابات منزل في إحدى القرى الكردية المحترقة، نداء الاستغاثة الذي يوثقه المجهول، صورة وشخصاً ، والمعلوم اسماً فقط، وساقه قدره المتلبس بواجب (خدمة العلم الإلزامية) التي لا تنتهي ولا حد أو حدود زمنية لها.انه يحفر على البوابة الخشبية لذلك البيت المحترق ، ما يلي:"تذكروا الجندي المكلف..علي الساعدي- من العمارة..!". ويواصل الحفر لمغالبة النسيان:"علي الساعدي- بارزان 1978". ويعود ليعلن ثانية، وبما يشبه الصراخ : "هنا عاش الجندي المكلف علي الساعدي..". ويَصّر على مواصلة الإجهار عن ذاته المحترقة أيضاً:" تذكروا علي السا...!". دون أن يكمل كتابته.. التي فيها وعبرها صار معلوماً، أو ضحية بقسمات مجهولة..ولم يكّشفَ شيئاً ابعد من هذا، ولم يُعرف لمن وجه خطابه،معلناً فيه عن اسم ومدينة ولد فيها،ونائية عنه وعن مكّانه الحالي، ولم يذكر أو يبرر، لماذا لم يكمل لقبه ثانيةً..!؟. ربما مزقت حياته و أحلامه وتطلعاته ، رصاصة ما ، دون أن يعلمَ مُطلقها ، إن الفتى (على السا...) هذا، يغالب قهر السلطة التي ستقوده لمحارق الفناء، ومعه أجيال كاملة ومتعاقبة من شباب العراق، وهو بهذا الإعلان عن اسمه ولقبه كاملاً تارةً ، وناقصاً تارةً أخرى، ينتصر على محوها المتواصل والدائم، له ولإقرانه وشبابهم الجامح المتسرب منهم عنوة.. انه ليس سوى محاولة انتصار المغلوب والمقهور والمُستباح ومسلوب الإرادة ، وهو ليس انتصاراً واقعياً، لكنه انتصار (الرمز) على غول السلطة البربرية ، الذي يتهدد الجميع بالفناء. يستدعي الجندي المكلف (علي الساعدي)،ذلك العسكري المجهول أيضاً ، و الذي وبعد أن استدارت السلطة، نحو (الكويت) لتحتلها وتستبيحها ، فلعله (علي الساعدي) ذاته ، فيما إذا قد بقي حياً، أو قرينه المجهول، و الذي استدار وعيه أيضاً ، وبحدة هذه المرة ، ليكتب على جدران بيت كويتي عبث به أعوان السلطة وسرقوا ما شاء لهم ، وكتبوا على جدرانه ما رغبوا ، من تهديدات وتوعدات للكويتيين. ربما هو (علي السا...) ذاته أو قرينه المجهول ، مَنْ كتبَ إلى جوار كتاباتهم، بارتجاف وخشية ، وفي غفلة منهم، وفي البيت الكويتي المستباح ذاته، وعلى الجدار نفسه ، العبارة الصارخة والفاضحة عن كل ما حدث وجرى في العراق ولشعبه، والتي يوردها (كنعان مكية) في كتابه (القسوة والصمت):" يا ليتني لم تلدني أمي..لأعيش في هذا الزمان..!. هذه العبارة، التي كُتبت بتحد، يتلبس قناع المجهول، خوف الوشاية وما ترتبه من عقاب، في بيت كويتي منهوب ، وذلك الاسم الذي حُفر سابقاً، على باب خشبي، في بيت كردي محترق ، والذي لم يكمل لقبه ثانية، وما خلفهما من انتهاكات وعذابات، أنتجت تمردات صغيرة في البداية ، واختمرت ثم تمددت طولاً وعرضاً وعمقاً، في غالبية مدن العراق، و أصبحت خلف خلخلة أركان النظام وهيبته ، وكان يمكن أن تطيح به في ربيع 2 آذار 1991 المغدور. كما تتنفس الصخور والجبال وتتبرعم الغابات، بفعل بشائر قدوم الربيع ، يتغير حال الرجال عندما يعلمون أن(سبع)فتيات عراقيات، قطع بعضهن دراسته في أوربا وجئن، سراً، إلى (عراق) الضحية والجلاد، والقاتل والقتيل. ما إن وصلت أخبار (النصيرات)، تحركت العواطف الصلبة الجافة لرجال لم يروا خلال سنوات ، غير الصخور والبرد والثلج وزمجرة الريح والقذائف والاختباء من طيارة مغيرة. لقد حدث تغيير أو ما يشبه الانقلاب الـ(آركيلوجي) في تلك الجبال وسلاسلها المتواصلة المتراصة الشاهقة ، و التي ربما لم تصل لبعض كهوفها ومغاراتها الشمس منذ بدء الخليقة، وانعكس ذلك الانقلاب على سكان القرى الذين دهشوا من وجود نساء.. نساء تركن البيت والمطبخ ومستلزماته، وامسكن بالبندقية ، حتى إن بعضهم رفض دخولهن بيته أو الاقتراب من قريته ، خوفاً من أن يصبن بعدواهن تلك نساء القرية، وشيئاً فشيئاً بات وجودهن طبيعياً خاصة بعد أن شاركن في عمليات الاقتحام ، وقدن بعض أشرس رجال السلطة هناك، أسرى بنادقهن ، وهم معفرين ومدموغين بعارهم الأبدي، وغابت وتقوضت سلطتهم وقوتها، و بعد أن استعرضن أسراهن في بعض شوارع تلك القرى التي أشرعت أبواب مساكنها مذ تلك اللحظة للنصيرات المقاتلات. ينهي (الجزائري) كتابه متتبعاً "خطوات الضحايا" خلال مرحلة اختفى فيها ، من الوجود، في ساعات، الآلاف من العراقيين الأكراد، بمختلف الأعمار وسُلموا واستسلموا لمصائر مجهولة. ولن ينسى الذين عاشوا تجربة(الأنفال) ثلاثة أماكن ممهورة في ذاكرة مَنْ بقى حياً منهم صدفة. إنها:(معسكر الجيش الشعبي في طوابزة) القريب من كركوك. (سجن النساء في دوبز) الواقع عند ملتقى ، كركوك- الموصل. (نقرة السلمان) المعروفة جيداً للعراقيين. من هذه الأماكن- المعسكرات- اقتيد الرجال القادرون على حمل السلاح مربوطين مع بعضهم بحبال ، وبعد إهانات عدة وتعذيب دام متواصل، أوقفوا على حافات حفر شقية طويلة ، عيون مكممة ، ووجوه قلقة، وأرواح هائمة، وأطلقت النيران عليهم.. ثم غطتهم الجرافات بالتراب، وما أن غادر القتلة ، شمل الصمت كل شيء، وغدا سيداً للهواء والفضاء الصحراوي وحتى التاريخ العراقي. الشيوخ اقتيدوا إلى (سجن نقرة السلمان) ليموتوا هناك. أما النساء فعشن عذاباً، يبدو انقضاض طائر الموت تجاهه، كرماً و رحمة ونعمة ومغفرة. و كان الأطفال يذوون من شحة الحليب في صدورهن، ويُنتزعون من صدور الأمهات ويلقون في الحفر حتى قبل موتهم.. إنها قيامة (الطاعون البعثي) بامتياز وهي.. ليست الأولى.. ولا الأخيرة. يذكر (الجزائري) أنه ، خلال محاكمة المتهمين بمجازر الأنفال ومن موقعه الإعلامي ، طلب من مراسليه ومندوبيه ، في عدد من المدن العراقية، أن يسألوا أجيالاً من العراقيين:- إن كانوا قد سمعوا بـ (الأنفال) حينها!؟. فكانت الأجوبة:

- لا
- أبداً
- إنها قصة مختلقة.

أما في المناطق الكردستانية :

- سمعنا..ولكن ليس بالتفاصيل .

يختم الجزائري/ أوراقه الجبلية / بـ:" عجبت كيف تمر الجريمة بهذا الصمت..182 ألف إنسان.. أزيلوا من الوجود.. كما في رواية لـ"ماركيز".. مجزرة طوقها الصمتً..حتى أوشك الضحايا أن يحيلوها إلى الكوابيس".

السلطة تقاتل حتى الأشباح من أجل استمرار منهجها

* **أوراق جبلية/ ط2/ 2011 أربيلدار**
آراس/ الغلاف: مريم متقيّان

الطريق
الثقافي

المشرف ورئيس التحرير
ياسين النصير
التحرير
القسم الثقافي في جريدة طريق الشعب
المتابعة : ناصر قوطي
www.iraqicp.com
التصميم والأشراف الفني
محمد حيّاوي
www.sillatmedia.com
للاتصال بهيأة التحرير althakafya@iraqicp.com
المراسلة لأغراض النشر althakafya@yahoo.com

ملحق ثقافي شهري يصدره القسم الثقافي في جريدة طريق الشعب
العدد 49 - 28 كانون الأوّل/ ديسمبر 2011 No. 49 / 28 December 2011

المعرض التشكيلي

للفنان أحمد نصيف

الجدار مشهداً للرؤية والأقدام تمضي عابرة

سعد القصاب

لمدة تجاوزت العقد، تواصل الفنان أحمد نصيّف على إدامة أداء صوري في لوحاته، يصف موضوعا كان قد استل من ملمح بيئي " الاهوار "، ومثّل دلالته وكفايته التعبيرية معا. فضاء لوني متقشف، قليل التضاد، مشغول بمعالجة غير متكلفة، تتصف بالاختزال والتبسيط. لتحيل تكوين العمل الفني الى مساحات لونية متجاورة، فيما أشكال قاتمة تخترق الأفق وتحضر بوصفها كائنات تعيش وجودها على نحو غامض، بل وتتكفل بالتعريف عن نفسها على نحو تجريدي وغير متعين. لطالما اكتفى " أحمد " في تجربته تلك، بمشهد غير تشخيصي، تغيب فيه الرموز والإشارات،من اجل ما يوحي به من انطباع جمالي، رهيف، شديد الحساسية، يكاد الموضوع معه يتحول الى لحظة تلق عابرة، لكنها تدعو لمعاودة الاستجابة لها، بأثر خبرة خاصة غير مكتشفة بعد.

دربة هذا الفنان على صناعة المشهد الفني بكونه احتياجا جماليا، أكثر منه تضمينا لمعنى، سوف تطبع تجربته الجديدة، اللاحقة. انها بالاداء ذاته، ولكن بصياغة تقنية قادرة على اختبار مدى حريتها كاملة. والرؤية هنا عينها، تدل على موضوعها عن بعد، الا انها تتصف به، تلازمه دون الاشارة المباشرة إليه. ولكن، ما يبقى مختلفا هو طبيعة المشهد ومغزاه. في تجربته السابقة، كان يحتفظ بما يصرح به.

مشهد هو تمثيل لذاكرة تسكن في الماضي، مارست أحلامها في مكان أليف ووادع. وهي شغوفة كذلك بإعادة افتراضه كأنه ملاذ يقيم في لحظة كائنة في الجنوب، حيث السكينة تأخذك مثل رمز هنيء، والمسافات تمتد حتى حافة الأسطورة. فيما الحكاية تطل على دهشتها. والخيال يتخذ أوضاعا صامتة كأنه الشجن.

في لوحاته تلك، كانت ضربات الفرشاة تستبقي أيضا، هاجس حنين يمكن ان نلمسه بأطراف أناملنا.

ولكن مثل هذه التجربة لم تعد كما كانت، لقد تبدلت الأمكنة وتغيرت معها اهتماماتنا. ان الفنان يسكن في مدينة محتلة. ومشاهد ما يحصل فيها تدعو الى التفكير بقوة في ملامح حاضرها. ومن أقساها، الأسلاك الشائكة وتلك الجدران المؤلفة من دعامات خراسانية، والتي باتت تمنعنا من ان نطل على واجهة غاب فيها أفقها. ونحن، ما عادت لدينا تلك الدعة والدهشة التي تبقينا كي نقف، نتأمل ما نرى. لذا ليس أمامنا الا ان نمضي بخطى مسرعة، لنجتاز هذه الصخور المنتظمة بلونها الرمادي، الكابي، وارتفاعها المستطيل. انها تثقل القلب والعين معا.

أصبحت هذه الدعامات إذاً، بديلا عن مشاهد المدينة، ومعها تحولت ذاكرتنا اليومية الى جردة حساب: كم مرة اجتزنا طرقا تحفها هذه الجدران؟.

ولكن ما الذي يثيره كل ذلك: الاعتراض..!!.

تبقى تجربة الفنان " احمد نصيف " لا تشابه تجربة رسوم جدران الشوارع، والتي خلفتها تيارات ما بعد الحداثة. فالأمر هنا لا يشير الى تعليقات ساخطة، أو محاكاة ساخرة لأحداث وأوضاع غريبة في مدينة صاخبة، بل التعبير عن مشهد صادم، هو اشد كتمانا وأكثر صمتا. انها ليست سوى واجهات خرساء تمارس فعلا مفارقا. انك حين تنظر إليها تجدها تحجب عنك النظر.

ولكن الفنانين لا يطيقون التباساً مثل هذا. لذلك نجدهم يستدرجون ما يشغلهم الى حيز يستدعون فيه خبرتهم،ويعيدون تضمينها في تجاربهم. إنهم يحملون الموضوعات الى مشاغلهم، لا ليتفكروا فيها بل ليحققوها. هكذا يتحول أي معنى بالنسبة لهم الى ذريعة للرؤية.

لتلك الأسباب يستحضر" احمد " الفن في واقعة يومية، ويعلنها مغامرة جمالية بامتياز. يقترح المشهد كما يتمنى ان يراه،مؤلفا من معالجات تجريبية، بأداء تقني، يكون اللون خلاله وسيطا تعبيريا، يختبر حضور الأشكال ودلالتها بضربات سريعة للفرشاة. وكأن الأمر عملية تدوين ليوميات فنان في مدينة.

في لوحاته، هنالك توصيف صوري لخيال يفترض للواقع معنى آخر. ما أبقته الذاكرة من مشاهد شاردة في فضائها، ولكنه لا يحاكي، لا يقلد، بل يتمثل شيئا نقيضا، هو الحرية. رؤية كهذه لابد من انها تقيم في الجهة المضادة.

وتجربة احمد تكمن في هذه الجدلية، في متعتها، في كونه أحال واجهات صماء الى مشهد مفعم بالخيال والحرية والجمال معا .

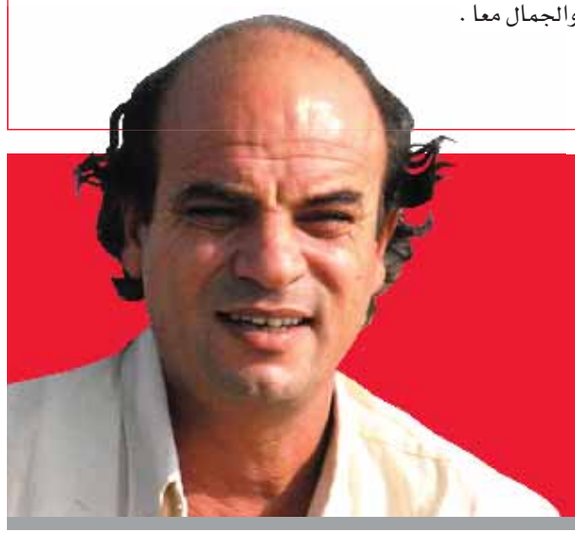

أحمد نصيف ـ سيرة ذاتية

مواليد بغداد 1967
- بكالوريوس فنون تشكيلية –بغداد1992
- عضو جمعية التشكيليين العراقيين.
- عضو نقابة الفنانين العراقيين.
- عضو مؤسس جمعية الفنون البصرية المعاصرة.

تفرغ للفن فأقام عدة معارض في كل من بغداد وكردستان ودمشق وباريس والولايات المتحدة الأمريكية، ونال عدداً من الجوائز الفنية المهمة أبرزها جائزة الملتقى الثقافي العراقي الأول في بغداد العام 2005 ، وشهادة تقديرية في مهرجان بغداد العالمي الثالث عام 2002، وجائزة تقديرية بإسم الفنان جميل حمودي عام 2000، وغيرها من الجوائز وشهادات التكريم، وهو عضو في جمعية التشكيليين العراقيين.